رسم المصحف ونقطه

حُقوقُ الطّبْع محفُوظَة

الطّبعَة الأُولى
١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

المكتبة المكية
باب العمرة - مكة المكرمة تلفون: ٥٧٤٢٨٢٤/مستودع ٥٣٦٦٢٩٩

دار نور المكتبات
السعودية - جدة - حي السلامة - بجوار جامع الشعيبي
هاتف وفاكس: ٦٨٣٨٠٥١ - ص.ب: ٤٠٣٧٤ - الرمز البريدي: ٢١٤٩٩

رسم المصحف ونقطه

تأليف

الدكتور عبد الحي حسين الفرماوي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن الكريم
بجامعة الأزهر بالقاهرة وجامعة أم القرى بمكة المكرمة

المكتبة المكية

دار نور المكتبات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمين، القائل: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾[1].

والصلاةُ والسلامُ علىٰ سيِّدنا ونبيِّنا محمدٍ النبيِّ الأُمِّيِّ الذي بَهَرَ الدُّنيا بعُلومِه معَ أنَّه لم يَجلس إلىٰ معلِّمٍ من البشَر قَطُّ، بل ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾[2] مُنذُ أنْ أنزَل اللَّهُ عليه: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣﴾[3].

وهو القائلُ ﷺ: «لاَ تَكْتُبُوا عَنِّي إِلاَّ الْقُرْآنَ، فَمَنْ كَتَبَ عَنِّي شَيْئاً غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ»[4].

فبدأ تدوينُ ما يَنزلُ مِن القرآن فورَ نزولِه، وبين يدَيْ رسول الله ﷺ والوحيُ حاضرٌ يُراقب، ولذا قال اللَّـهُ تعالىٰ: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ۝٤٦ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ۝٤٧﴾[5].

---

(١) فُصِّلت: ٤١ ـ ٤٢.

(٢) النجم: ٥.

(٣) العَلَق: ١ ـ ٣.

(٤) الحديث أخرجه أحمد في المسنَد (١٠٧٣١) كتاب: باقي مُسنَدِ المكثرين، وأصله عند مسلم (٥٣٢٦) في كتاب: الزُّهد والرقائق، من حديث أبي سعيدٍ الخُدريِّ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «لاَ تَكْتُبُوا عَنِّي، وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ. . .» الحديث.

(٥) الحاقة: ٤٤ ـ ٤٧.

لذلك كان لهذه القِطَع التي كُتبتْ بينَ يدَيْ رسولِ الله ﷺ مَزِيَّةٌ علىٰ غيرها من القِطَع التي كُتبتْ في غير حضرتِه الشريفة.

ومن هذا المنطلَق كان حرصُ سيِّدنا زيدِ بنِ ثابتٍ ـ رضي اللَّهُ عنه ـ علىٰ هذه القِطَع بالذات لَمَّا كلَّفه سيِّدُنا أبو بكر الصدِّيقُ ـ رضي اللَّهُ عنه ـ بجمعِ القرآنِ المكتوبِ في مصحفٍ واحد، ولم يَقبل شيئاً منها إلاَّ بشهادةِ رَجلَين.

فقام ـ رضي اللَّهُ عنه ـ بنَسخِ تلك القِطع بمنتهىٰ الأمانة والصِّيانة في المصحف لم يَزِدْ ولم يَنقُصْ حرفاً واحداً.

وفي عهد سيِّدنا عثمانَ بنِ عفَّانَ ـ رضي اللَّهُ عنه ـ سَمِع الصحابيُّ الجليلُ حُذيفةُ بنُ اليَمان في فتوح أَرْمِينِيَةَ وأَذْرَبِيجانَ بعضَ الجُند يَقرأُ: ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾[1] وبعضُهم يُغلِّطُ أُولئكَ ويقولُ: بل الصوابُ (وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلْبَيْتِ) وكاد بعضُهم يُكفِّرُ بعضاً، فهالَ هذا الأمرُ سيِّدنَا حُذيفةَ، وعاد إلىٰ المدينة المنوَّرة ليقولَ للخليفة عثمانَ: أَدرِكْ هذه الأُمَّةَ قَبلَ أنْ يَختلفوا اختلافَ اليهودِ والنصارىٰ، وقَصَّ عليه ما سَمع، فأحَبَّ سيِّدُنا عثمانُ أنْ يُعيدَ الناسَ إلىٰ المرجع الموثوقِ به، الذي أَجمعَتْ عليه الأُمَّةُ، وهو المصحفُ الذي كتَبه سيِّدُنا زيدٌ في عهد سيِّدِنا أبي بكر، رضي اللَّهُ عنهم أجمعين.

فدعا زيداً وأَمدَّه بعددٍ من الكَتَبَةِ الثِّقاتِ من قريش، وأمَره باستنساخ عِدَّةِ نُسَخٍ من ذلك المصحفِ الموثَّق.

فلمَّا أَتمَّ سيِّدُنا زيدٌ هذا العملَ الجليلَ أَرسَل سيِّدُنا عثمانُ إلىٰ كلِّ مصرٍ من أمصار المسلمين مصحفاً موثَّقاً، ومُقرئاً ثقةً، وقال للناس: اعرِضوا ما بأيديكم مِن القرآن المكتوبِ علىٰ هذا المصحف، فما وافَق فأبقُوه، وما خالَف فحرِّقوه.

---

(١) البقرة: ١٩٦.

وبهذا حمىٰ سيِّدُنا عثمانُ ـ رضي اللَّهُ عنه ـ الأُمَّةَ من فتنةٍ مُخيفة، بِأنْ رَدَّها إلىٰ المرجع الأصليِّ الذي لا يتَطرَّقُ إليه الشكُّ.

ثمَّ أكرَم اللَّهُ الأُمَّةَ الإسلاميَّةَ بعُلماءَ أجلاَّءَ، خافوا علىٰ تلك المصاحفِ الأصيلة من عَوادي الزمَن، والتلَفِ والضياع، مع أنَّه قد نُسِخ منها ما لا يُحصيه إلاَّ اللَّهُ كثرةً من المصاحف، فقالوا: إنَّ ما في هذه المصاحف موافِقٌ لِما عليه الناسُ من الإملاء في الأغلب الأعمِّ، وهناك مواضعُ خَرجَتْ عن ذلك لِحِكَمٍ منها الجَليُّ ومنها الخفيُّ، وكما أنَّنا متعبَّدون في أحرفٍ من القرآن نقرؤها ونَعتقدُ أنَّها كلامُ الله دونَ أنْ نُدرِكَ ما وراءَها من معانٍ ـ كالحروف المقطَّعةِ في بداية بعض السُّوَر ـ فكذلك نحنُ متعبَّدون بكتابة المصحف بالشكل الذي كُتب عليه بين يدَيِ النبيِّ ﷺ وأقَرَّه، ولو خالَف في حروفٍ قليلة ما اعتادَه الناسُ من الإملاء.

فقام هؤلاء العُلماءُ باستقراءِ ما كُتِبَ في المصاحف العثمانيَّة، واستخرَجوا منها ما كان مخالِفاً للإملاء المعتاد، وبوَّبوا ذلك في أبوابٍ متجانسة، فأخرَجوا لنا عدداً من المؤلَّفات التي حَوَتْ وَصْفَ ما خالَف فيه رسمُ المصحفِ الإملاءَ المعتاد.

ومعلومٌ أنَّ الأُمَّة قد تلقَّتْ كتابَ ربِّها عن رسولِ الله ﷺ منطوقاً ومكتوباً، لا مكتوباً فقط، ففي خطِّ المصحف: ﴿الٓمٓ ۝١﴾ التي في أوَّل البقرة مثلاً هي مثلُ ﴿ألم﴾ التي في أوَّل سورة الفيل، معَ أنَّ الأولىٰ تُقرأُ بإجماع: أَلِفْ لاَمْ مِيمْ، والثانية تقرأُ بإجماع: ﴿أَلَمْ﴾ وهذا لا يُعرَف إلاَّ مِن النُّطق النبويِّ.

وهذه المسألةُ وأمثالُها لا تخفىٰ علىٰ صغار أولادِ المسلمين الذين تعلَّموا في الكُتَّاب الهجاءَ العربيَّ وهجاءَ المصحف الشريف، فلم نَرَ ولم نسمعْ أنَّ واحداً من هؤلاء الأشبالِ المسلمين قرأ ﴿الصَّلٰوة﴾ مثلاً: (الصُّلُوه) بل كلُّهم

يقرؤها: (الصَّلاة) وذلك بعدَ أن تعلَّم قاعدتَها وتدرَّبَ علىٰ يَدَيْ أُستاذِه.

وحيثُ إنَّه في الأربعينيَّاتِ من القرن العشرين تقريباً قلَّت ـ بلِ انعدمَتْ ـ في عددٍ من البلاد العربيَّة تلك الكتاتيبُ وحلَّ مكانَها ما يُسمَّىٰ بمراحل (الروضة) و(التمهيديِّ) وما صاحب ذلك من ضعفٍ في العناية بتلاوة القرآن العظيم، فنشأَتْ أجيالٌ لا تعرِفُ تلاوةَ القرآن الكريم؛ لأنَّها لم تَعتَدْ ولم تتدرَّبْ عليها.

فمِن هنا بدأت تظهرُ دعَواتٌ لكتابة القرآن العظيم بالإملاء المعتاد، وتركِ الرسم النبويِّ (المعروفِ بالعثمانيِّ).

وحُجَّةُ هؤلاءِ المُطالبين بذلك هي التيسيرُ علىٰ الناس، حتىٰ لا يقَعوا في أخطاءٍ أثناءَ تلاوتهم لكتابِ الله تعالىٰ.

وغفَل المطالبون بذلك عن أنَّ القرآنَ العظيمَ كتابُ الله سبحانه وتعالىٰ، فهو معجزٌ بلفظهِ وخطِّه ومعناه، لا تنقضي عجائبُه.

واللَّهُ تعالىٰ يُطلِقُ علىٰ كلامه القديم المنزَّلِ علىٰ قلب نبيِّنا محمدٍ ﷺ أحياناً لفظَ (القرآن) وهو النصُّ المقروء، وأحياناً أخرىٰ لفظَ (الكتاب) وهو النصُّ المكتوب.

وكم مِن آيةٍ في القرآن العظيم اقتَرن فيها لفظُ (نزَّل) أو (أنزل) بلفظ (الكتاب) فكما أنَّ الوحيَ كان ينزلُ علىٰ النبيِّ ﷺ بألفاظِ القرآن كان ينزلُ عليه بكتابتِه، قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾[1].

والمقصودُ باليمين يدُ الكاتبِ الذي يكتبُ بأمر النبيِّ ﷺ.

---

(١) الحاقة: ٤٤ ـ ٤٧.

وقد بحثَ هؤلاءِ ـ الداعِين إلىٰ كتابةِ المصحفِ بالإملاء الحديث ـ عن سنَدٍ يعتمدون عليه في تثبيتِ رأيهم فلم يجِدوا أحداً من علماء الأُمَّة أجاز مخالفةَ رسم المصحف إلاَّ ما ذكرَه الزَّركَشيُّ (ت٧٩٤هـ) في كتابهِ (البرهان في علوم القرآن) ناسباً للعزِّ بنِ عبد السلام (ت ٦٦٠ هـ) فتوىٰ بعدَم جوازِ كتابة المصحفِ علىٰ الرُّسوم الأولىٰ، ونصُّ كلام الزركشيِّ: «وقال الإمامُ أحمدُ رحمه الله: تحرمُ مخالفةِ خطِّ مصحفِ عثمانَ في ياءٍ أو واوٍ أو ألفٍ أو غيرِ ذلك.

قلتُ: وكان هذا في الصدر الأوَّل، والعلمُ حيٌّ غضٌّ، وأمَّا الآن فقد يُخشىٰ الإلباسُ؛ ولهذا قال الشيخُ عزُّ الدِّين بنُ عبد السلام: لا تجوزُ كتابةُ المصحفِ الآن [كذا] علىٰ الرُّسوم الأولىٰ باصطلاح الأئمَّة؛ لئلاَّ يوقعَ في تغيير مِن الجهَّال.

ولكن لا ينبغي إجراءُ هذا علىٰ إطلاقه؛ لئلاَّ يؤدِّيَ إلىٰ دُروسِ العلم، وشيءٌ أحكَمتْه القُدماءُ لا يتركُ مراعاتُه لجهل الجاهلين..» اهـ[1].

ولنا مع هذا النصِّ وقَفات:

١ ـ أيُعقلُ أن يخرِق سلطانُ العلماء العزُّ بنُ عبد السلام (ت٦٦٠هـ) ما أجمعَتْ عليه الأُمَّة خلالَ سبعةِ قرونٍ من وُجوبِ اتِّباع رسم المصحفِ الإمامِ وهو العالمُ المتبحِّرُ الورعُ، المعروفُ بمواقفِه الجليلة في الذبِّ عن حِياض الدِّين ومقدَّساته؟!

٢ ـ ثمَّ هل هذه العبارةُ: «لا تجوزُ كتابةُ المصحفِ الآن [كذا] علىٰ الرُّسوم الأولىٰ باصطلاح الأئمَّة؛ لئلاَّ يوقع في تغيير مِن الجهَّال» أقول: هل هذه صياغةُ عالم فقيه؟!

---

(١) البرهان للزركشيِّ ١/ ٣٧٩.

٣ ـ ثمَّ ما المقصود بـ«الآن» حتىٰ يُبنىٰ عليها حكمُ عدَمِ الجواز؟

٤ ـ وهل كان اتِّباعُ رسم المصحفِ واجباً عند علماء الأُمَّة ثمَّ صار «الآن» لا يجوز؟!

٥ ـ وهل تصِلُ جرأةُ كاتبِ هذا النصِّ إلىٰ التصريح بأنَّ ما يدعو إليه مخالفٌ لـ«اصطلاح الأئمَّة»؟!

٦ ـ ثمَّ ما هذا التعليلُ لعدم جوازِ كتابة المصحفِ (الآن) علىٰ الرسوم الأولىٰ باصطلاح الأئمَّة؟ وهل مراعاةُ حالِ الجُهَّال تكونُ بتغييرِ كتابةِ المصحفِ الشريف الذي أجمعَتْ عليه الأُمة سبعةَ قرونٍ إلىٰ زمانِ العزِّ أم تكونُ بتعليمهم؟

٧ ـ وهل ظهر الجهَّالُ فجأةً في المائة السابعة أم إنَّهم موجودون علىٰ مَرِّ الدُّهور وكَرِّ العصور؟!

٨ ـ ثمَّ افرِضْ أنَّ العزَّ أراد أن يراعيَ حالَ الجُهَّال فهل يكونُ هذا بأن يُفتيَ بـ«لا تجوزُ كتابةُ المصحفِ الآن علىٰ الرُّسوم الأولىٰ باصطلاح الأئمَّة» أم بأن يقولَ مثلاً: تجوزُ كتابةُ المصحفِ علىٰ ما أحدَثه الناسُ من الهجاء مراعاةً لحالِ الجُهَّال؟!

سؤالاتٌ تطرَحُ نفسَها علىٰ النصِّ السابق، الذي لا لاحقَ له ولا سابق.

والذي ظهر لي ـ وأكادُ أجزِمُ به ـ أنَّ هذه الفتوىٰ قد صُحِّفتْ عن قصدٍ أو عن غير قصد علىٰ العزِّ بنِ عبد السلام، وأنَّ كلمةَ «الآن» تحريفٌ لكلمة «إلا» أُقحِمت عليها نونٌ، فقَلبَتْ معناها رأساً علىٰ عَقِب، ولو أعدنا نصَّ الفتوىٰ علىٰ هذا التقدير لصارت: «لا تجوزُ كتابةُ المصحفِ إلاَّ علىٰ الرُّسوم الأولىٰ باصطلاح الأئمَّة؛ لئلاَّ يوقعَ في تغيير مِن الجُهَّال».

فإذا تأمَّلنا هذا الكلامَ وجدناه متمشِّياً مع إجماع الأُمة علىٰ وُجوبِ اتِّباعِ

رسم المصحف، وعلىٰ وُجوبِ التأسِّي بالرُّسوم الأولىٰ باصطلاح الأئمَّة، وحينئذٍ تصيرُ عبارةُ: «لئلاَّ يوقعَ في تغيير من الجُهَّال» ذاتَ معنًى من حيثُ إنَّ فتحَ هذا الباب في كتابة المصحفِ علىٰ الإملاءِ الحديث لا يقفُ عندَ حدٍّ، فقد يكتبُ الناسُ علىٰ اصطلاح معيَّن في عصرٍ من العصور، ثمَّ بعد ذلك بقرونٍ يَعِنُّ لهم تغييرُ ذلك المصطلَحِ إلىٰ آخرَ بما سيحدثُه الناسُ من تطوُّراتٍ حضاريَّة وهكذا يضيعُ النصُّ الأصليُّ وتدخلُ الرِّيبة والشكُّ إليه.

والظاهرُ ـ واللَّهُ أعلم ـ أنَّ نصَّ هذه الفتوىٰ قد وقع للزَّركشيِّ محرَّفاً ولم ينتبه إلىٰ ذلك، وهو معَ هذا قد استَشكله؛ ممَّا جعلَه مُضطرّاً للتعليق عليه بقوله: «ولكن لا ينبغي إجراءُ هذا علىٰ إطلاقه؛ لئلاَّ يؤدِّيَ إلىٰ دُروس العلم، وشيءٌ أحكَمتهُ القُدماءُ لا يُتركُ مراعاتُه لجهل الجاهلين» اهـ.

وما زال العلماءُ والباحثون إلىٰ يومنا هذا يستشكِلون فتوىٰ العزِّ كما أوردَها الزَّركشيُّ ويلتمِسون لها الأعذارَ والتأويلاتِ الباردة.

وقد بحثتُ عن فتوىٰ العزِّ هذه في فتاويه فلم أجدها، وبحث عنها قبلي الدكتور: غانم قدُّوري الحمَد فلم يجدها، قال في كتابه رسم المصحف: «وقد حاولتُ العُثورَ علىٰ رأي ابنِ عبد السلام هذا في أحدِ كُتبِه الثلاثة المطبوعة: (الفوائد، والإشارة، وقواعد الأحكام) فلم أُوفَّق» اهـ[1].

وقد جاء كتابُ (رسم المصحف ونقطُه) للأستاذ الدكتور عبد الحيِّ الفرماويِّ جامعاً لكلِّ ما أُثيرَ حولَ هذه المسألة من نقاش، بأسلوبٍ علميٍّ بعيدٍ عن لُغة الخطابة والتهويش، يَقرَعُ الحُجَّة بالحُجَّة، ويَدمغُ الشُّبهةَ بالبرهان، ويُجلِّي غوامضَ هذه المسألة، فجزاه اللَّهُ تعالىٰ خيراً عن القرآن وأهلِه، وأجزل له الأجرَ والمثوبة.

---

(١) رسم المصحف ص٢٠٠.

وإنَّني - واللَّهِ - لأقلُّ مِن أنْ أضعَ تَقدِمةَ كتابٍ عظيمٍ لمؤلِّف عظيم، ولكنِّي فعلتُ ذلك امتثالاً لطلبِ إخواني في (دار نور المكتبات) بارك الله فيهم، فقد عُرفوا بطباعةِ الكتاب القرآنيِّ ونشرِه في هذا الزمان الذي قلَّتْ فيه الرغبةُ في اقتناء الكتبِ ومطالعتِها، فلهم منَّا خالصُ الدعواتِ بالتوفيق والاستمرار علىٰ هذا النهج المَرْضيِّ.

وصلىٰ اللَّهُ علىٰ سيِّدنا ونبيِّنا محمدٍ وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، والحمدُ لله ربِّ العالمين.

جُدَّة: ٩/ ١١/ ١٤٢٤هـ — خادم القرآن الكريم

الموافق: ١/ ١/ ٢٠٠٤م — د. أيمن رشدي سُويد

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩ ﴾

هذا البحث

عبارة عن الرسالة التي تقدم بها الباحث لنيل درجة الدكتوراة من قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين ـ جامعة الأزهر بالقاهرة، عام ١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤ م.

وقد أشرف على الباحث خلال إعدادها الأستاذ الدكتور أحمد السيد الكومي رئيس القسم المذكور ـ عليه رحمة الله تعالى ـ.

ونوقشت بقاعة الإمام محمد عبده بجامعة الأزهر يوم الاثنين ٨ من المحرم ١٣٩٥ هـ الموافق ٢٠ من يناير ١٩٧٥ م.

ونال بها الباحث درجة (العالمية) الدكتوراة في التفسير وعلوم القرآن الكريم بمرتبة الشرف.

تقديم

نزل القرآن الكريم على النبي الأمي ﷺ، فكان محل العناية العظمى، والأهمية الكبرى، من أولياءِهِ وأعدائه، كل يسلك منهجه، ويرجو مبتغاه.

اعتنى به أولياؤه منذ نزوله: فوعته صدورهم، وسجلته أناملهم في كتبهم وسطورهم، وبلغت الحيطة في حفظ نصه الشريف المقدس أن أعيدت كتابته مرات متعددة، حتى وصل إلينا على هذا النحو الذي بين أيدينا، وكان في كل مرة من مرات الكتابة هذه، تشكل اللجان، وتتخذ القرارات، والتوصيات، وتتم إعادة الكتابة تحت الإشراف، والمراقبة الدقيقة.

ومنذ وقتها: والدراسات حول القرآن الكريم، وعلومه الوفيرة، تترى وتملأ الآفاق، وهو البحر الذي لا تفنى عجائبه، ولا تنقضي ـ على مر الزمان ـ رغائبه، ولم يحظ أي كتاب سماوي، أو غير سماوي، بما حظي به القرآن الكريم من الدراسات فيه، وعنه، وحوله.

والمكتبات العربية، وغير العربية، هي الشاهد ـ المعترف به عند الجميع ـ على ذلك بوفرة ما فيها عنه من الدراسات.

واعتنى به ـ أيضاً ـ أعداؤه: زمن سيدنا محمد ﷺ، نعم اعتنوا به... حيث حاربوه فهزمهم، وعارضوه فأعجزهم ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾[1]، ولم

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٨.

يمنعهم عنادهم، أن يقول فيه كبيرهم الوليد بن المغيرة فيما أخرجه الحاكم عن ابن عباس «إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه، وإنه ليحطم ما تحته»[1]، والفضل ـ كما يقولون ـ ما شهدت به الأعداء.

ومنذ وقتها ـ أيضاً ـ وعناية الأعداء به، واهتمامهم بأمره يزداد، حتى رأينا في عصورنا هذه معاهد الاستشراق في البلاد الغربية، وغيرها، تكرس معظم جهودها، وأبحاثها، عن القرآن الكريم، وعلومه، ونرى أناساً منهم يقضون معظم حياتهم، في دراسات حول القرآن الكريم، وبحوثه، وتاريخه، وتفسيره، وما أشبه ذلك، وقلّ بين هؤلاء المنصف.. !!

وأصبحت مكتباتهم عامرة، قد يفوق بعضها مكتباتنا في هذه الدراسات، وغدا بعض طلاب العلم في جامعاتنا يتلقون العلم في هذا المجال، على أيدي هؤلاء، الذين تبحروا، وأفنوا حياتهم حول الدراسات القرآنية.

بيد أنه مما تجدر الإشارة إليه، والتنبيه عليه: أن الأعداء منذ فجر الإسلام، أدركوا أن قوة المسلمين في الاعتصام بحبل الله، والتجمع حول كتابهم المقدس، الذي يمدهم بأسباب القوة، والنجاح، والعلم، والنصر، والحذر من كل دخيل وغادر، أدركوا ذلك جيّداً، وصرح به كثير من زعمائهم[2]، وانصرف الكثير منهم ـ وفقاً لمخطط مرسوم ودقيق ـ إلى النيل من الإسلام، وكتابه المحفوظ من لدن حكيم خبير، وزين لهم الشيطان ذلك بطرق خبيثة، خفية، يريدون بها، أن يطفئوا نور الله، ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كرهوا.

---

(١) الإتقان، ص: ٤ ـ ٥.

(٢) انظر: الجمع الصوتي ص ٤٧٩ وما بعدها وانظر: كتيب «قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله».

من أجل ذلك كتبت الدراسات الهادفة المضلِّلة، وترجم القرآن الكريم، ترجمات حرفية، سقيمة، مشوهة، محرفة، وزيفت التشريعات القرآنية، كل ذلك وغيره ـ في ثوب من العمل الدءوب، والمظهر الجاد، والأسلوب التجريبي، والعرض البراق الخادع، حتى اختلط الأمر على كثير من الدارسين لهم، وفشا الاعتماد عليهم، وموه ثمينهم على غثهم الذي دسوه.

ومن الدعوات ـ الهادفة المضلِّلة ـ التي قامت لفصل المسلمين عن كتابهم المقدس: الدعوة إلى العامية، التي كان من نتائج تخطيط أصحابها، أن أصبح العربي ـ الآن ـ لا يعرف لغة أخيه العربي في البلد الآخر، وفشا هذا الداء في كثير من البلاد العربية، حتى أصبحت كل بلد لها عاميتها، أما لغتها العربية فهي في الكتب، والمحافل الدراسية فقط.

ووصل الحال إلى درجة تقدم معها ـ ويا للأسف ـ بعض أبنائها من أعضاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة، في جلسته المنعقدة بتاريخ ٢/٢/١٩٤١م باقتراح، ينادي فيه بأن تكتب اللغة العربية بحروف لاتينية؛ لأن حالها ـ كما يقول في مقترحه المطبوع: «حال غريبة، بل أغرب من الغريبة، لأنها مع سريان التطور في مفاصلها، وتحْتِيتها في عدة بلاد في آسيا وأفريقيا إلى لهجات لا يعلم عددها إلا الله، لم يدر بخلد أية سلطة في أي بلد من تلك البلاد المنفصلة سياسياً أن تجعل من لهجة أهله لغة قائمة بذاتها، لها نحوها وصرفها، وتكون هي المستعملة في الكلام الملفوظ وفي الكتابة معاً، تيسراً على الناس، كما فعل الفرنسيون والإيطاليون، والإسبان، أو كما فعل اليونان، لم يعالج أي بلد هذا التيسير».

«ثم يقول: وبقي أهل اللغة العربية من أتعس خلق الله في الحياة»[1].

---

(١) انظر: تيسير الكتابة العربية (اقتراح عبد العزيز باشا فهمي).

هذا ـ أيها القارىء الكريم ـ هو حال اللغة العربية، التي لا يصونها من عبث العابثين، وخبث الماكرين، سوى القرآن الكريم، الرابطة، والصلة، والحبل المتين، بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

إذن!! فليس من طريق لفضّ اعتصامهم حول هذه اللغة التي تصون لهم عزتهم، وقوتهم، سوى العمل على تغيير لغة القرآن الكريم تدريجياً.

وكانت الخطوة القريبة جداً من هدف الأعداء، والتالية للدعوة للعامية هي الدعوة لأن يكتب المصحف الشريف بالرسم الإملائي الحديث بدعوى أن الناس يخطئون في قراءته.

فهم يحبون ـ كما يزعمون ـ أن ييسروه على الناس، ونسوا أن الناس يقرؤونه كذلك، منذ أربعة عشر قرناً والحمد لله، ونسوا كذلك أن الله تعالى يقول: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ ﴾ فكان بتيسير الله تعالى غني عن تيسيرهم ﴿ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾[1]. ونسوا كذلك أن الترخص في رسم المصحف، قريب ـ على نحو ما ـ من أسلوب التحريف الذي عمدت إليه إسرائيل أخيراً[2].

بيد أنه إذا ما تم لهم ذلك وفق مخططهم ـ وأُلِف الناس كتابة القرآن بالرسم الإملائي، الذي لا يستقر له قرار، وانقطعت الصلة تماماً بينهم وبين رسم المصحف، أو أصبح رسم المصحف ـ على أحسن الفروض ـ رسم الخاصة، «ويقرؤه ـ في مشقة وبغير فهم ـ باقي المسلمين، كما هو الشأن في القبطية، في كنائس الأرثوذكس، أو اللاتينية، في الكنائس الكاثوليكية»[3].

---

(١) سورة القمر، الآيات: ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠.

(٢) انظر: ص ٢٩٠ من هذا البحث.

(٣) الجمع الصوتي ص ٢٨٣، ٤٨٤.

وعم ذلك في جميع الأقطار والأمصار الإسلامية، والهوة بين «طرق الإملاء العادية التي تختلف باختلاف أقطار المسلمين، بل قد تختلف باختلاف جوانب القطر الواحد»[1]، أمكن لهم ـ حينها ـ أن يأتوا ببدع، ودعاوى جديدة، يهيج لها الناس ويثورون آناً ويسكتون ـ كما يظنون ـ ولتكن هذه الدعوى ـ مثلاً ـ هي كتابة القرآن باللغة العامية؛ ليعمم، أو اختصاره ليسهل حفظه[2]، أو كتابته بالحروف اللاتينية، لتسهيل تلاوته على عارفي هذه الحروف، أو كتابته بالحروف الصينية ـ مثلاً ـ لتيسير قراءته على الصينيين، أو كتابته بالحروف اليونانية لليونان[3].

هذا وقد ساعدهم على الجهر بمزاعمهم، لتغيير رسم المصحف، وأمَّلهم في نجاحها، أنَّ المطالع للمصاحف التي توجد في أيدي المسلمين بالأقطار المختلفة يجد أن خطوطها ليست برسم واحد، فهي: ـ

١ ـ إما بالرسم العثماني.

٢ ـ وإما بالرسم المغربي، وهو نفس الرسم العثماني، مع تصرف في نقط بعض الحروف، مثل القاف، إذ تكتب بنقطة واحدة من فوق.

٣ ـ وإما بالرسم الإملائي المعروف.

* * *

من هنا كان ميلاد فكرة هذا البحث.

والحقيقة التي لا ينبغي أن أخفيها، أنني حين أقدمت على العمل في هذا البحث، كنت خالي الذهن إلا من الاقتناع بفكرة التسهيل والتيسير، ولذلك كنت أميل إلى فكرة كتابة المصحف بالرسم الإملائي، حتى كشف ليَ البحث

---

(١) انظر: مقدمة المصحف الميسر للشيخ عبد الجليل عيسى.

(٢) تاريخ المصحف. حفني ناصف، مقدمة كتاب في قواعد رسم المصحف.

(٣) رسم المصحف د. لبيب السعيد ص ٢٨.

به مقتنعاً، والعمل به مؤيداً، إلى معارض لهذه الأفكار، ومدافع عن رسم المصحف، ومحبذ لوجوب اتباعه، والالتزام به، وكان ذلك نتيجة للقراءة المتأنّية، والاقتناع الحر، والبحث العلمي، بعيداً عن العواطف والاندفاع الذي قد يظن بمدافع عن مثل هذا الموضوع.

ولقد دفعني لاختياره ـ فوق ذلك ـ محلاً لدراستي، الأمور التالية:

أ ـ إجلال كتاب الله تعالى، والتقرب من ساحته بهذه الدراسة التي تتعلق برسم كلمات هذا الكتاب العزيز.

ب ـ تساؤلات كثيرة ـ لم أحسن التعبير عنها صغيراً، ولم أعرف الإجابة عليها كبيراً ـ كانت تستلفت نظري في كتابة المصحف الشريف.

جـ ـ لما كانت هذه الدعوات، التي أشرت إليها، تتخذ الطابع العلمي، لتمويه غرضها، ولأنه أسلوب يخدع به الكثيرون، أحببت بهذه الدراسة ـ علمياً ـ أن أتبيَّن، وأبيِّن، موقف أصحاب هذه المزاعم من جادة الصواب، وعللهم التي يتمسكون بها، حسب المنهج العلمي، الذي يبتغي ـ كما يقولون ـ الحقيقة فقط.

فضلاً عن أن الكثير ممن تكلموا في هذا الموضوع كانت أغراضهم تتضمن من بعيد أو من قريب، بالتصريح، أو بالتلميح، الطعن في عمل أصحاب رسول الله ﷺ.

والكثير منهم ـ أيضاً ـ يعلنون آراء ساقطة، وهدامة، في هذا الموضوع، وهم ليسوا من أهل الرأي، ولا ممن يعتد بهم علمياً في هذا المجال ولكنهم ـ في مجتمعنا هذا ـ لهم الكلمة، ولصوتهم السماع.

د ـ يقول الله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾[1] وفرقة

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

المسلمين في رسم كلمات كتابهم المقدس، مما راعني، وأفزعني.

فحاولت جاهداً ـ محاولة الباحث المنصف، المحايد ـ البحث عن الحل الأمثل الذي به يتحقق للمسلمين ـ المتخالفين في رسم القرآن الكريم ـ وحدتهم، واتفاقهم على رسم واحد، يتبعونه في طبع المصاحف، في مشارق الأرض ومغاربها وليتحقق لهم ـ أيضاً ـ الاقتداء بسنة محمد ﷺ، والإعتصام بحبل الله المتين، وحماية كتاب الله تعالى من تحريف الغالين، وإبطال المبطلين.

* * *

وفي هذا البحث:

حاولت ـ قدر المستطاع ـ عند تناولي هذه الدراسة: أن يكون لي من الأسلوب سلاسته، ومن العرض وضوحه ودقته، ومن المنهج استقلاله، ولآراء الغير مني، حسن الفهم، وأمانة النقل، وصراحة العزو.

وأسجد لله تعالى شاكراً أن وفقني في:

١ ـ التوصل إلى الجديد في كثير من نقاط هذا البحث وقضاياه.

٢ ـ تذليل كثير من العقبات التي صادفتني خلال إعداد هذا البحث الدقيق، الحساس، المليء بالصعاب المنهجية، والقضايا العلمية.

* * *

وكان منهجي ـ الذي سرت فيه مستعيناً بالله تعالى ـ في تناول هذا الموضوع بالدراسة:

هو تقسيم البحث إلى أبواب ثلاثة، مع مدخل إليه، وخاتمة له، ثم كشافات ستة لمحتوياته.

(أ) وفي المدخل:

تناولت بالبيان: «حال الكتابة العربية قبل الإسلام، وإبَّان ظهوره» في مباحث خمسة.

وقد توصلنا من هذا المدخل بمباحثه الخمسة إلى:

(١) أن الكتابة كانت شائعة في هذا الحين بين العرب، لدرجة وجود المتعلمين والمعلمين بأعداد كبيرة، تمكن معها بعضهم من إجادة الكتابة، والتخصص في فنونها، وأيضاً إجادة بعض النساء للكتابة درجة تمكنَّ فيها من تعليمها لغيرهن.

(٢) أن كتّاب رسول الله ﷺ، كانوا حاذقين فن الكتابة، بارعين في إجادته، متقنين لقواعده.

وأنه كان له ﷺ ـ بينهم ـ من يجيد بعض اللغات الأجنبية ـ كالفارسية، والرومية، والقبطية، والحبشية، والعبرية ـ وكان بين هؤلاء من يقوم له ﷺ، بالترجمة التحريرية بل كذلك الفورية في حضور الأجانب، ألا وهو زيد بن ثابت رضي الله عنه.

(٣) أن الإسلام حينما أشرقت شمسه على الجزيرة العربية حارب فيما حارب من العرب «أميتَهم»، وعمل جاهداً على استئصالها من قاموس صفاتهم، لكي يؤهلهم للجهاد الأكبر، الذي لا تسير هذه الصفة في قافلته، وهو الجهاد الفكري في سبيل نشر الدعوة الكبرى، التي غيرت، وسوف تغير كل ملامح الجزيرة، ومنها هذه الصفة التي تتنافى وعالمية الدعوة الإسلامية، إن هي ظلت بهم لاصقة.

وقد بينا ذلك جلياً بتوضيح موقف الإسلام من الكتابة.

(٤) إلى أن صفة «الأمية» كانت سائدة، وصادقة على العرب قبل

الإسلام بمعنى عدم القراءة والكتابة، لا بمعنى «الوثنية» كما يصرح بذلك الدكتور ناصر الدين الأسد، وقد قمنا بالرد عليه، مع توضيح موقف بحثنا من معنى الأمية.

(ب) وفي الباب الأول:

تناولنا الحديث عن «رسم المصحف» في أربعة فصول:

الفصل الأول: رسم المصحف وكتابة القرآن الكريم خلال جمع القرآن.

الفصل الثاني: رسم المصحف والقراءات.

الفصل الثالث: سمات وخصائص رسم المصحف.

الفصل الرابع: طباعة المصحف ورسومه الحالية.

ففي الفصل الأول بمباحثه الأربعة كان حديثنا عن كيفية كتابة القرآن الكريم، وطريقة ذلك في عهد النبي ﷺ، وفي عهدي أبي بكر، وعثمان رضي الله عنهما، مبينين أن رسم المصحف كان نصب أعينهم فيما يهدفون إليه خلال الجمع في المرتين الأخيرتين.

وفي الفصل الثاني بمباحثه الثلاثة: كان الحديث عن طريقة عثمان رضي الله عنه في رسم المصاحف، مبينين أن هذه الطريقة هي التي تسببت في تسميتنا لرسم المصحف حتى الآن بالرسم العثماني، وهذه التسمية ليست لابتكار عثمان هذا الرسم، أو اصطلاح الصحابة عليه في عهده حين نسخهم المصاحف.

وفي نفس الفصل بينا أيضاً علاقة رسم المصحف بالقراءات، مقسمين لها بالنسبة لرسم المصحف، كما قسمها العلماء سلفاً بالنسبة للسند، موضحين موقف القراء من هذا الرسم، وجعلهم إياه ركناً من أركان القراءة الصحيحة، بل حفاظهم على الوقف عليه لبيان كيفية هذا الرسم، فيما يوقف عليه.

وفي الفصل الثالث: بمباحثه الثلاثة:

تحدثنا عن أنواع الخط الثلاثة الإملائي، والعروضي، والعثماني، وكذلك عن مؤلفات العلماء في رسم المصحف بالاستعراض السريع لبعض هذه المؤلفات، ثم قمنا في المبحث الثالث ـ وهو هدف هذا الفصل ـ بتقسيم تفصيلي لسمات وخصائص رسم المصحف، مع التمثيل والشرح والتعليل لبعض أسرار هذه السمات.

وفي الفصل الرابع:

كان الحديث عن طباعة المصحف، منذ بداية ظهور المطابع في ألمانيا عام ١٤٣١م، ثم ظهور أول طبعة للمصحف في مدينة همبرج بألمانيا نفسها، حتى وقتنا هذا، كاشفين الغطاء عن اهتمام المسلمين بالمصحف الشريف، ورسمه الذي كان يتأرجح في عالم الطباعة بين الإملائي، والعثماني، حتى أصدرت مشيخة الأزهر في عام ١٩١٧م قراراً بتحريم طبع، وتداول، بل مصادرة أي مصحف في مصر مطبوعاً بغير الخط العثماني.

وما زالت إدارة الثقافة والنشر بمجمع البحوث الإسلامية تعمل جاهدة لتنفيذ هذا القرار، حيث تمنع تصاريحها لأي ناشر يرغب في طبع المصحف، إلا إذا كان مكتوباً بالرسم العثماني.

(جـ) وفي الباب الثاني:

كان التناول الوافي، والكشف الجديد بخصوص نقط المصحف وشكله.

وقد قسم هذا الباب إلى فصلين:

الفصل الأول: النقط والشكل قديماً، أي قبل المصحف.

والفصل الثاني: النقط والشكل في المصحف.

ففي الفصل الأول: تبين لنا أن النقط والشكل قديم جداً، فقد كان

الشكل الإعرابي، في كثير من اللغات السامية: كالسريانية، والعبرية، والآرامية، والأَكَّادِيَّة، وكذلك في العربية، منذ القدم القديم.

وأن نقط الإعجام وضع مع ابتكار الخط العربي نفسه، حيث يبعد أن تكون الحروف العربية، مع تشابه صورها عَرِيَة عن النقط إلى حين نقط المصاحف.

مع التدليل على ذلك، وعلى أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يعرفون نوعي النقط هذين ـ نقط الإعراب، ونقط الإعجام ـ بقاطع الدليل من النقوش الكتابية التي كشف عنها المنقبون عن الآثار، مبينين موقف الصحابة رضوان الله عليهم من النقط حين كتابة المصاحف، ومعللين لتجريدهم حروف المصحف من النقط حينها، وذلك ـ فوق غيره من الأسباب التي بينها البحث ـ حتى يحتمل رسم المصحف كل ما صح نقله، وثبتت تلاوته عن رسول الله ﷺ.

وبما توصل البحث إليه في هذا الفصل: يكون كل ما قام به التابعون في نقط المصحف ما هو إلا إحياء لشيء قديم، كان تركه مقصوداً لغاية معينة، وإن كان ذلك لا يقلل من عظمة جهودهم التي بذلوها في نقط المصحف على ما سنرى في الفصل الثاني.

الذي يحكي لنا القصة الشيقة، الممتعة، التي تميط اللثام عن الجهود المتواصلة لخدمة القرآن الكريم، ورسمه، والمحافظة عليه من لحن الأعاجم، وعجمةِ الأعراب، وذلك بوضع النقط والشكل في المصحف وتستغرق هذه القصة الرائعة مباحث ستة:

تحكي لنا ثلاثة منها:

المراحل الثلاثة لوضع النَّقْط والشكل في المصحف.

فالمرحلة الأولى: وهي التي قام بها أبو الأسود الدؤلي، حيث وضع

الشكل الإعرابي، على أواخر الكلم فقط، ثم عَمَّمَهُ نصر بن عاصم، على كل حروف الكلمة.

والمرحلة الثانية: وهي التي قام فيها نصر بن عاصم، ويحيى بن يعمر، بوضع نقط الإعجام في المصحف الشريف.

ولما كان النقط كله مُدَوَّراً، فارقوا حينها بين نقط الإعراب ونقط الإعجام بالتخالف بين مدادَيْهما.

ولما لم يقطع هذا التخالف دابر الخطأ، بل أوقعهم أكثر في المشقة والحرج في استعمال الألوان المتعددة!!

كانت المرحلة الثالثة: وهي التي قام فيها الخليل بن أحمد الفراهيدي بالمفارقة بينهما بشيء غير لون المداد، فقد قام بتغيير نَقْط الإعراب من النَّقْط المُدَوّر إلى هذه الجرَّات العلوية والسفلية، الماثلة بيننا، والتي نستعملها حتى الآن.

وفي المباحث الثلاثة الأخرى: تناولنا بالشرح والتوضيح ألوان النقط ـ حينها ـ ثم كيفية نقط المصاحف أول الأمر حسب القراءات المتنوعة، ومدى اتباع الناس للنقط أول الأمر، أو كراهيتهم لذلك، والحديث عن المؤلفات في هذا العلم النفيس.

وختمنا الفصل بموضوع اختلفت فيه المراجع، وتخالفت فيه ـ أيضاً ـ التوفيقات بين ما في هذه المراجع.

وذلك حيث تخالفت المراجع في نسبة أولية وضع النقط إلى أبي الأسود، أو نصر بن عاصم، أو يحيى بن يعمر، وقد أنهينا ذلك كله بتوفيق يتضح مما قدمناه لحضراتكم من تلخيص لهذا الفصل.

(د) أما في الباب الثالث:

فقد تجاذب الحديث مؤيدو رسم المصحف، ومعارضوه، في خمسة

فصول على النحو التالي:

الفصل الأول: رسم المصحف بين التوقيف والاصطلاح.

الفصل الثاني: اتباع رسم المصحف.

الفصل الثالث: مزايا رسم المصحف.

الفصل الرابع: شبهات حول رسم المصحف.

الفصل الخامس: مزاعم حول رسم المصحف.

ففي الفصل الأول: تم بسط القول في وجهتي نظر، وأدلة كل من القائلين بأن رسم المصحف توقيفي، والقائلين بأنه اصطلاحي.

وقد تكشف لنا من مناقشات الفريقين أن حجج القائلين بأنه توقيفي عن رسول الله ﷺ هي الأقوى في ميدان الحديث عن نوع شرعية هذا الرسم.

وفي الفصل الثاني ـ والحديث فيه كالنتيجة للفصل الأول ـ حيث تناول البحث مذاهب العلماء في اتباعهم لرسم المصحف ـ بناءً على آرائهم السابقة ـ أو عدمه، ثم بيانهم لحكم مخالفة رسم المصحف، وحكم طباعة المصحف بغيره، إلى ذكرهم فوائد اتباعه والالتزام به.

وفي الفصل الثالث: ذكر المتبعون مزايا لهذا الرسم، وفوائد تكفل الفصل بشرحها وتوضيحها، ومناقشة بعض المعترضين عليها.

وفي الفصل الرابع: تصدى البحث إلى الدفاع عن رسم المصحف وتنزيه ساحة الصحابة من الخطأ في رسمه، بالرد على بعض الآثار التي وجدت في بعض الكتب، قد يستغلها المغرضون للطعن في القرآن الكريم، ودقة كتابته، خاصة: وأن هذه الآثار منسوبة إلى بعض كبار الصحابة.

والذي توصلنا إليه ـ أيها القارىء الكريم، كما سترى ـ أنها شبه واهية

جداً، لا تصل ـ ولا يمكن لها ـ إلى درجة الطعن في دقة عمل الصحابة، وتحريهم إرشادات النبي ﷺ، ومتابعتهم الواعية، لإملائه الشريف عليهم، وكذلك: يقظتهم، وفطنتهم، ودقتهم، خلال كتابة القرآن الكريم ـ وعدم الخطأ فيه وفي رسمه، في المرتين التاليتين للكتابة الأولى في عهد النبي ﷺ.

وفي الفصل الخامس بمباحثه الثلاثة:

كانت جولتنا الأخيرة مع المزاعم التي ينادي بها بعض المغرضين، ويروج لها الكثير من المخلصين وغير المخلصين، عن قصد سيء، أو حسن، أو عن غير قصد.

وقد انقسم أصحاب هذه المزاعم كما توصل البحث إلى:

(أ) من ينادي بكتابة المصحف بالرسم الإملائي، وإهمال الرسم العثماني كلية، وهذا هو «الزعم الأول».

(ب) ومن ينادي بكتابة مصحفين، أحدهما بالإملائي للعامة، والثاني بالعثماني للخاصة، وهذا هو «الزعم الثاني».

(جـ) والثالث: من ينادي بكتابة المصحف لا بهذا ولا بذاك، بل بكتابته بغير العربية أصلاً، فهو ينادي بكتابته بالحروف اللاتينية.

وفي مجال الحديث مع أصحاب الزعم الأول: كشفنا لهم عن وجه الحقيقة في الصعوبات التي يتخيلونها في اتباعهم لرسم المصحف، وأنها في الحقيقة ليست سوى موجة من الكسل والتراخي الديني، ونشطة في التقليد ورغبة في التجديد، مسايرة لروح العصر، خطأ كانت مسايرتهم أو صواباً، ولكنها عندهم هدف. وكشفنا ـ أيضاً ـ المضار في ترك هذا الرسم إلى غيره، وأخطر هذه المضار، ضياع القراءات التي يحفظها لنا هذا الرسم ـ وهو ركن ثالث من أركان قبول القراءة الصحيحة ـ من الضياع، وأنها إذا لم تحفظ ضاع القرآن بالتالي.

أما الزعم الثاني: فقد أبنّا وجه الخطأ فيه، مع ما فيه من تقسيم للأمة الواحدة من حيث كتابة كلمات ربها، وقراءتها، فضلاً عن أن رسم المصحف ـ حسب زعمهم ـ مع مرور الأيام لن يوجد إلا في بطون المخازن، وسراديب المتاحف، ودور الكتب. ويعود الأمر إلى ما في الزعم الأول من مخاطر.

أما صاحب الزعم الثالث: فهو الأستاذ عبد العزيز فهمي، الذي ينادي بكتابة المصحف، وغيره من العربية، بالحروف اللاتينية. كما سبقت الإشارة.

وقد فشل اقتراحه، وكان ذلك كافياً لأن أضرب صفحاً عن التعرض لمقترحه، إلا أنني بعد أن قرأت هذا الاقتراح، وردود أعضاء مجمع اللغة العربية عليه، لم أجد من تصدى منهم للدفاع عن رسم المصحف بصفة خاصة، لذا أحببت أن أفعل هذا الذي تركوه، وهو في نفس الوقت سد لثغرة هامة مفتوحة في جبهة الاعتراضات على مقترحه العام.

فضلاً عن أن وجود هذا الهجوم والطعن على رسم المصحف، في كتاب مطبوع، دونما ردود عليه، يجعله عرضة لأن يقع في أيدي المغرضين أو الساذجين، وقد يستغل المغرضون أباطيله، كما قد ينخدع الساذجون بزيف أقاويله.

لذلك: كان في ذكرنا هذا الزعم، ومناقشته، قطع لأطماع المغرضين، بل حماية الساذجين، رجاء أن يتوب الأولون، وأن يفيق الأخيرون.

(هـ) وفي خاتمة البحث:

كان التلخيص الشديد والإشارة الخاطفة إلى: أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

ثم كانت وصيتي التي أرفع عقيرتي بها من فوق منبر هذه الجامعة

العتيقة إلى الله سبحانه وتعالى أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، وصائبة لخدمة كتابه الشريف أولاً.

وثانياً: إلى كل من بيده تنفيذها من أولي الأمر.

وتتلخص في:

أولاً: تكوين لجنة من علماء المسلمين ـ المتخصصين في علمي القراءات ورسم المصحف ـ يمثلون جميع الطوائف والمذاهب الإسلامية، في جميع أنحاء العالم الإسلامي: تكون مهمتها الإشراف على طبع المصاحف في كل البلاد الإسلامية، بحيث لا يتم طبع ـ أو إعادة طبع ـ أي مصحف إلا بتصريحها، مع توفير كل الإمكانات القانونية التي تمكنها من ذلك.

ثانياً: أن تكون كتابة المصحف بالرسم العثماني طبقاً لما أقره مؤتمر علماء المسلمين الرابع والخامس بمجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة في طبعه كاملاً، أو في طبع أجزاء منه، مع عدم التصريح باستعمال الرسم الإملائي إلا إذا كان لبعض الآيات ضمن كتب تعليمية، أو لغرض اقتباس بعض الآيات أو الاستشهاد بها، مع مراعاة ما تراه اللجنة بخصوص ذلك.

ثالثاً: العمل بكل السبل الممكنة على تعميم التلقين الشفاهي، حيث إن القرآن الكريم لا يكتفى فيه بالتلقي من السطور وحدها، بل لا بد مع هذا من التلقي الشفاهي حتى يتحقق ـ على الأقل ـ اتصال السند برسول الله ﷺ، وهناك من الوسائل الفعالة في ذلك، فوق سهولته، وموافقته لمشاغل العصر، المصحف المرتل، الذي جاهد من أجله وثابر وصبر رجل مؤمن من المعاصرين الآن، حتى وصل إلى أن تفرد له الإذاعة محطة خاصة، بين موجاتها، ألا ذلكم الرجل هو الدكتور لبيب السعيد، وهو صاحب فكرة

المصحف المرتل، وصاحب كتاب «الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم».

أقول:

إذا كان أصحاب الدعوات والمزاعم التي يتقدمون بها في مجال رسم المصحف وتغييره، صادقين في نواياهم، فليوجهوا دعواتهم إلى تعميم هذه الوسيلة للتلقين الشفاهي في المدارس وجميع دور التعليم ـ في هذا البلد الإسلامي ـ بدل تعميم موسيقى «الفالس» و«الجاز» و«التويست»... إلخ... إلخ.

وأن يخلقوا في الناس الرغبة في تلاوة القرآن الكريم، ويوجهوهم إلى أيسر الطرق، بدل أن يعبثوا ـ معهم ـ في البحث عن تغيير رسم المصحف.

ولو خلقت الرغبة لتمكن كل إنسان من القراءة ـ دونما خطأ أو تعثر ـ بفضل هذا المصحف المرتل.

وما وجدته بنفسي في فلاح بسيط يتلو في كتاب الله تعالى المرسوم بالعثماني، متابعاً القارىء من محطة القرآن الكريم، دونما وقوع في الخطأ، ليقطع على كل متنطع طريق الهروب من ساحة رسم المصحف.

وليوجهوا دعواتهم إلى أن تكثر الحكومة من إهداء اسطوانات هذا المصحف المرتل، إلى جميع المؤسسات، بل البلاد الإسلامية، حتى يكون ـ بجانب كونه وسيلة للتلقين الشفهي ـ رسولاً وداعية إلى توحيد طبعات المصحف في جميع أنحاء العالم، وتذويب الفوارق بين الرسم العثماني والإملائي، والمغربي.

هذه هي توصيتي، وهو رأيي، الذي أقدمه على استحياء، مبتغياً به وجه الله تعالى، وخدمة كتابه الكريم، وهو الذي قادني إليه البحث، وهدتني

إليه الرغبة الصادقة في العمل على توحيد صفوف المؤمنين حول رسم كلمات القرآن الكريم.

فإن أكن ـ فيه، وبه ـ قد أصبت، فهو توفيق الله تعالى، وليس لي فيه أي شيء إذ الكل لله تعالى، مالك الملك، وهو المستعان، والمعين، فبقدرته كتبت، وبتوفيقه وصلت.

وإن تكن الأخرى.

فحسبي... !! أنني ابتغيت بهذا العمل وجه الحق تعالى، وأعرف: أن من ابتغى الحق خالصاً لوجه الله تعالى، فأخطأ، فله ـ بتفضل من الله تعالى ـ على ما بذل أجر.

ويعزيني ـ أيضاً ـ ما أعرفه: من أن الحياة كلها متاعب، ولأن نعاني متاعبها، ونحن نجاهد ونصعد نحو الحق، ونسلك طريقة، خير من أن نعانيها، ونحن ننحدر نحو الباطل، ونتردى في مهاويه.

وأضرع إلى الله تعالى ـ دائماً ـ أن يجعل كل كلمة كتبتها، وكل رأي أبديته، على صفحات هذا البحث، خالصاً لوجهه تعالى.

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾.

ولا يفوتني أن أسجل صادق شكري، وكريم ثنائي إلى:

كل من ساعدني في هذا البحث، بالتوجيه، أو بالاستماع ـ لي ـ والمعاونة، أو بالنقد والمناقشة.

وأخص بالتقدير: القلب الرحيم، والعقل الوثاب، الوالد الحنون، والمعلم الجليل:

الأستاذ الدكتور أحمد السيد الكومي.

الذي شمل بحثي: وافرُ علمه، وثاقبُ رأيه، وحسنُ توجيهه، وكريمُ تشجيعه.

هذا:

و﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾.

مدخـــل

حال الكتابة العربية قبل الإسلام، وإبان ظهوره

* ـ تمهيد

١ ـ المبحث الأول: أصل الخط العربي.

المطلب الأول: نظرية التوقيف.

المطلب الثاني: النظرية الجنوبية.

المطلب الثالث: النظرية الشمالية.

المطلب الرابع: النظرية الحديثة.

المطلب الخامس: النتيجة.

٢ ـ المبحث الثاني: شيوع الكتابة قبل الإسلام، وإبّان ظهوره.

المطلب الأول: الكتابات العامة.

المطلب الثاني: المعلمون: من الرجال والنساء.

المطلب الثالث: معرفتهم للّغات الأجنبية.

المطلب الرابع: كتّاب رسول الله ﷺ.

٣ ـ المبحث الثالث: دخول الكتابة إلى مكة والمدينة.

المطلب الأول: دخولها إلى مكة.

المطلب الثاني: دخولها إلى المدينة.

٤ ـ المبحث الرابع: موقف الإسلام من الكتابة.

المطلب الأول: موقف القرآن الكريم.

المطلب الثاني: موقف الرسول ﷺ.

٥ ـ **المبحث الخامس**: مناقشة ختامية حول مفهوم «أميّة العرب».

المطلب الأول: معناها في اللغة.

المطلب الثاني: ورودها في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: موقف هذا البحث منها.

المطلب الرابع: رأي الدكتور ناصر الدين الأسد فيها.

المطلب الخامس: ردنا عليه فيما يراه.

تمهيد

من الذائع، والمسلم به، أن سيدنا رسول الله ﷺ، أول من عمل على إذاعة ونشر الكتابة، وتعلمها وتعليمها، بطريقة عامة ورسمية. كما سنبين ذلك.

ولكن قبل النبي ﷺ.

ماذا كان حال الكتابة..؟

هذا ما سوف نتعرض له في بعض الصفحات التالية.

ولذا، فالكلام هنا، كلام عن شيء محلي، ويمكن أن توصف الجهود التي بذلت لتعميم الكتابة في هذه الفترة، إنها جهود فردية، وإن كان يطبعها أحياناً، الطابع الجماعي، كما سنرى.

وهذه الفترة في تاريخ الكتابة العربية، هي التي تناولها كثير من الباحثين[1]، بالدراسة، والنقد، والتحليل، وخرجوا من ذلك كله، بأنها مع كثرة التناول هذه، ما زالت غامضة[2]، وذلك راجع إلى أن تاريخ العرب في جاهليتهم، لم يقيد كتابة، وكل ما سجل عن تاريخهم، إنما هو اقتباس من

---

(١) انظر: العرب قبل الإسلام ص ٣٣.

(٢) وليس الخط العربي وحده، هو ما يحيطه الغموض في نواحي: أصله، مصدره، كيفية نشوئه، (تطور الكتابة العربية ص ١٤).

نتف يسيرة، ترد في أشعارهم، أو تصديق لروايات، قد تكون محرفة، لأنها لا تحمل أدلة جازمة بصدقها معها[1].

ولا بدّ لنا من التعرض لهذه الفترة، وإلقاء بعض الضوء عليها، إذ في معرفة تاريخ الكتابة في هذه الفترة، معرفة لتاريخ الكلمات التي كتب بها القرآن الكريم، وليس بغريب، ولا بكثير على القرآن الكريم أن تدرس هذه الفترة من تاريخ الكتابة، التي تمهد للقرب من ساحته الشريفة، ودراسة الرسم الذي كتبت به كلماته المقدسة. وكان سبيلنا إلى ذلك هو تقسيم هذا المدخل وفق البيان السابق، وطبقاً لما يلي:

---

(١) انظر: العرب قبل الإسلام ص ١٦، تاريخ القرآن د. شاهين ص ٦١.

المبحث الأول

(أصل الخط العربي)

وأصل الخط العربي، مشكلة في التاريخ معقدة، تناولها كثير من المؤرخين بالرواية تارة، والتخمين أخرى، ويرجع ذلك إلى أن تاريخ الشعب العربي في الجاهلية ـ كما سبق ـ وعلاقاته آنذاك بالشعوب الأخرى من حوله، لم تقيد كتابة، وكل ما ورد منها نتف يسيرة جداً، أثبتها الشعراء في قصيدهم، أو تناقلها الرواة محرفة، ومزيدة على مر الأجيال، إلى أن جاءت إلينا غامضة، متناقضة[1].

ونقدم في هذا المبحث: فكرة سريعة عن النظريات التي يراها العلماء في أصله، دون التعرض لنشأة هذا الخط، أو كيفية اقتباسه، مخافة الخروج عن الهدف الأساسي للبحث، وفيما يذكر من النظريات التالية، ما يوصّلنا إلى مبتغانا: ـ

المطلب الأول: نظرية التوقيف.

ويرى أصحاب هذه النظرية[2]: أن الخط الذي كتب به العرب توقيفي

---

(١) تاريخ القرآن د. عبد الصبور شاهين ص ٦١.

(٢) انظر: الجهشياري ت ٣٣١هـ في الوزراء والكتاب ص ٢٢١.
ابن النديم ت ٣٨٥هـ في الفهرست ص ١٢، ١٣.
ابن فارس ت ٣٩٥هـ في الصاحبي ص ٧.
الداني ت ٤٤٤هـ في المحكم ص ٢٦.
الزركشي ت ٧٩٤هـ في البرهان ١/ ٣٧٧.

=

من الله سبحانه وتعالى، على خلاف بينهم، فيمن أُوْحِيَ إليه بهذا الخط، ففي بعض الروايات: أنه إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام، وفي بعض آخر: أنه الجلجان بن الموهم.

ودليلهم:

قوله تعالى: ﴿ عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ ﴾[2]، وإذا كان كذلك، فليس ببعيد أن يوقف آدم وغيره من الأنبياء عليهم السلام، على الكتاب، فإما أن يكون مخترع اخترعه من تلقاء نفسه، فشيء لا نعلم صحته إلا من خبر صحيح[3].

وأصحاب هذه النظرية: هم الذين ينظرون إلى الإنسان بعين الشك والارتياب، ويحسون ضعفه وهوانه، فينسبون الأشياء الجبارة إلى الإرادات العليا، والمقادير الخفية[4].

وهذه النظرية، لا تحظى بتأييد العلماء.

فهذا ابن النديم: يستبعد ما قاله كعب الأحبار ـ فيما رواه الجهشياري ـ من أن أول من وضع الكتاب بالعربية إسماعيل عليه السلام، ويبرأ إلى الله تعالى منه[5]، وهذا لأن ذلك في نظره أقرب إلى الأسطورة، منه إلى التاريخ العلمي، ومع ذلك. فلم يتخلص ابن النديم نفسه ـ فيما رآه ـ من روح

= القلقشندي ت ٨٢١هـ في صبح الأعشى ٣/ ١٠، ١١.
السيوطي ت ٩١١هـ في الإتقان ٤/ ١٤٥.

(١) سورة العلق، الآيتين: ٤ ـ ٥.
(٢) سورة القلم، الآية: ١.
(٣) انظر: البرهان ١/ ٣٧٧ وهامش نفس الصفحة.
(٤) تطور الكتابة العربية ص ١٤، ١٥.
(٥) الفهرست ص ١٢، ١٣.

الأسطورة أيضاً[1].

أما ابن العربي: فيضعفها من وجهة نظر علمية، فيقول عن الروايات التي نقلها أصحاب هذه النظرية: «وهذه كلها روايات ضعيفة، ليس لها أصل يعتمد عليه فيها»[2].

وكذلك: ابن خلدون ـ في مقدمته ـ ينتقدها بقوله: ان الخط من جملة الصنائع المعاشية[3]، «فهو على ذلك، ضرورة اجتماعية، اصطنعها الإنسان، ورمز بها للكلمات المسموعة».

المطلب الثاني: النظرية الجنوبية (الحميرية):

أما أصحاب هذه النظرية: فالخط العربي عندهم، مشتق من «المسند» الحميري، الذي بلغ أصحابه في دولة التبابعة من الحضارة، والترف، مبلغاً كبيراً، ومن السلطان السياسي ما فرض ثقافتهم على غيرهم من الأمم، ولذا فقد انتقل خطهم، ـ وهو المسمى بالخط الحميري ـ منها إلى الحيرة، لما كان بها من آل المنذر، نسباء التبابعة في العصبية، والمجددين لملك العرب بأرض العراق، ولم يكن الخط عندهم من الإجادة كما كان عند التبابعة، لقصور ما بين الدولتين، وكانت الحضارة وتوابعها من الصنائع وغيرها، قاصرة عن ذلك، ومن الحيرة لقنه أهل الطائف وقريش.

ويقال إن الذي تعلم الكتابة من الحيرة: هو سفيان بن أمية، ويقال: حرب بن أمية.

وهذه النظرية ـ مثل سابقتها ـ لا تحظى من العلماء إلا بالنقد.

---

(١) تاريخ القرآن د. شاهين ص ٦٢ والهامش أيضاً.

(٢) أحكام القرآن ٤/١٩٤٦.

(٣) انظر: عبد الرحمٰن بن خلدون ص ٢٧٤.

ذلك أن البحث العلمي ـ كما يقولون ـ أثبت خطأ هذه النظرية عندما عقدت المقارنة بين ما اكتشف من النقوش الحميرية في اليمن، والنقوش العربية الأولى، إذ لم توجد بينهما أية علاقة.

كذلك: فإن الخط «المسند» منفصل الحروف، والخط العربي، الذي انتهى إلى قريش، ليس كذلك، كما يعترف ابن خلدون نفسه، الذي يؤيد هذه النظرية.

والمعتقد تاريخياً: أن النقوش «الحميرية» الجنوبية، لم تجاوز في رحلتها نحو الشمال ـ في أثر سلطان اليمن السياسي ـ بلاد اليمن[1].

فضلاً عن أن «اللغة العربية التي نعرفها اليوم، متميزة عن العربية الجنوبية، التي حملت لنا حضارة اليمن القديمة»[2].

المطلب الثالث: النظرية الشمالية (الحيرية).

ومؤداها[3]: أن ثلاثة نفر من «بولان»، قوم من «طيء»، كانوا يسكنون «بقة» (وهي من بلاد ما وراء النهر) وهم:

مرامر بن مرة.

وأسلم بن سدرة.

وعامر بن جدرة.

اجتمعوا، وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية، فتعلم منهم قوم من أهل الأنبار، ثم تعلم عن هؤلاء نفر من أهل «الحيرة»، ومنهم إلى بشر بن

---

(١) قصة الكتابة العربية ص ١١ وما بعدها.

(٢) علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة. ص ١٦.

(٣) انظر: أبو داود السجستاني في المصاحف ١/ ٤، ٥.
أبو العباس البلاذري في فتوح البلدان القسم الخامس ص ٦٥٩.

عبد الملك الكندي، ومنه ـ حين مجيئه إلى مكة للتجارة ـ إلى حرب بن أمية وابنه سفيان بن أمية، وأبي قيس بن مناف، إذ علمهم الهجاء، وأراهم الخط فكتبوا، وذهب الثلاثة إلى الطائف، فأخذه عنهم، غيلان بن سلمة الثقفي، وتعلم الخط منهم ـ هناك ـ نفر من أهل الطائف، ثم ذهب بشر إلى ديار مضر، فتعلم الخط عنه نفر منهم، ثم رحل إلى الشام، فتعلم الخط منه أناس هناك.

وهكذا عرف الخط بتأثير بشر والثلاثة الطائيين، عدد لا يحصى من الخلق: في العراق، والحجاز، وديار مصر، والشام[1].

وهذه النظرية: وإن كانت هي المشهورة[2]، فهي الموافقة لما كانت عليه حال الكتابة في الطائف.

ولكننا نجد أن الدكتور عبد الصبور شاهين: يلاحظ على رواية البلاذري ـ وهي أقدم روايات هذه النظرية ـ أنها تجعل من بشر بن عبد الملك ـ هذا بطل الصناعة، الذي تولى نشرها في جزيرة العرب[3].

ويقول الأستاذ إبراهيم جمعة: «إن كثيراً مما في هذه النظرية مستساغ، إلا أن الإنسان لا يكاد يفهم، لماذا يناط انتقال الخط العربي، بشخصية بشر بن عبد الملك الكندي، الذي تجعل منه الرواية: جائلاً كلف نفسه مشقة الانتقال إلى أرجاء مترامية، من شبه الجزيرة العربية، يعلم الخط، وهو ذلك الأرستقراطي المترف[4]، الذي لا يجول لهذا الغرض...».

---

(١) قصة الكتابة العربية ص ١٢.

(٢) انظر: مناهل العرفان ١/ ٣٥٥، المدخل لدراسة القرآن الكريم ص ٣٣٥، البيان ص ٢٣٧، فصل الخطاب ص ١٤.

(٣) تاريخ القرآن ص ٦٤.

(٤) ذلك أن بشراً هذا هو أخو (الأكيدر) صاحب (دومة الجندل).

ثم يقول:

«ومعنى ذلك ـ أيضاً ـ أن الكتابة العربية، لا بد أن تكون قد رحلت إلى الحجاز في خواتيم القرن الخامس الميلادي».

ثم يقول:

وإن صح أنه كانت لمرامر بن مرة، وأسلم بن سدره، وعامر بن جدره، جهود في اقتطاع خط يكتب به العرب، فلا تعدوا جهودهم هذه أن تكون ابتكاراً لخط استعاروه من الأنباط، الذين كانوا يرحلون في إقليم حوران، إلى حوض الفرات الأوسط، . . . على أن الشك يعتور أسماءهم ذاتها.

إلى أن يقول:

والحق أنه يصعب: أن يقوم ثلاثة من طيء بمهمة (أكاديمية) شاقة، كهذه، لمجرد الرغبة في توفير خط يكتب به العرب»[1].

المطلب الرابع: النظرية الحديثة.

وفي هذه نجد اتفاقاً على أن العرب، لم يصبح لهم دراية بالكتابة، إلا بعد اتصالهم بالمدنية.

وقد كان اتصال العرب بالمدنية، نتيجة لانتجاعهم تلك الأطراف الغنية، المحيطة بشبه الجزيرة العربية في اليمن، ووادي الفرات الأوسط، وسوريا، ونجوع النبط، وحوران، وفي المنطقة الممتدة من شمال الحجاز، وخليج العقبة، «وقد اضطروا إلى معرفة لغة رجال الدولة، وأهل الوجاهة لاستخدامها في المخابر أو التدوين»[2].

---

(١) قصة الكتابة العربية ص ١٣، ١٤.

(٢) العرب قبل الإسلام ص ٩٤.

وقد نزلت منذ زمن بعيد ـ حيث يقع الآن إقليم شرق الأردن، حتى منطقة دمشق ـ قبائل من الأعراب، تمت إلى عرب الجنوب بصلة وثيقة، ولم تلبث هذه القبائل أن تكونت لها في موطنها الجديد، وحدة جغرافية خاصة، ونشأت لها في ديارها هذه ثقافة بعيدة عن ثقافة العرب الجنوبيين، وبمرور الوقت تكونت من هذه القبائل، وحدات عربية، سياسية، عرفت أهمها فيما بعد باسم مملكة (النبط).

ومهما يكن من أمر هؤلاء (النبط)، فهم عرب، أغاروا أول أمرهم، على أقاليم (آرامية)، وتحضروا بحضاراتها، واستخدموا لغة الآراميين في سائر شؤونهم العمرانية، واشتقوا لأنفسهم، خطاً من خطوطهم، كتبوا به، وإن يكونوا قد احتفظوا بلغتهم العربية التي ظلوا يستعملونها، في شؤونهم الخاصة، وأحاديثهم اليومية»[1] على أنه يظن أن اللغة العربية التي كان يتفاهم بها النبطيون، هي نفس اللغة العربية التي عرفت في صدر الإسلام[2].

وتذكر المراجع أن هؤلاء «النبطيين» كانوا يعبدون «اللات»، و«العزى» و«مناة» و«هبل»، وأنه للاتصال المستمر بينهم، وبين أهل الحجاز، «نقل الحجازيون عنهم كتابتهم»، بل عبادة آلهتهم[3] أيضاً.

وهذه النظرية: هي أرجح النظريات ـ عند الباحثين ـ في هذا الموضوع[4].

---

(١) العرب قبل الإسلام ص ٩٤.

(٢) نفس المرجع ص ٩٦.

(٣) أصل الخط العربي للأستاذ / يحيى خليل نامق (نقلاً عن الحروف اللاتينية انظر ص ٢٢، ٢٣).

(٤) انظر: مصادر الشعر الجاهلي ص ٢٤، قصة الكتابة العربية ص ١٧، اللغة العربية عبر القرون ص ٢٢ حياة اللغة العربية ص ٥١، العرب قبل الإسلام ص ٩٤ ـ ٩٥.

فقد أثبت البحث العلمي الدقيق: أن العرب الشماليين، قد اشتقوا خطهم من آخر صورة من خطوط «النبط».

وقد وجد أن الصورة الأولى للخط العربي، لا تبعد كثيراً عن صورة الخط النبطي، ولم يتحرر الخط العربي من هيئته النبطية، بحيث أصبح قائماً بذاته، إلا بعد أن استعاره العرب الحجازيون لأنفسهم بقرنين من الزمان.

حيث إن «النبطية» كتب بها «النبط» العرب، قبل أن تصقل العربية، كلغة ثقافة، فعرفوا الكتابة، وطوروها، وعلموها لسائر العرب، فكانت الكتابة العربية»[1].

ومن الأمثلة التي تؤيد ذلك: ما يذكره الدكتور محمود حجازي بقوله[2]:

إن الاسمين المعروفين «داود» بواو واحدة، و«عمرو» بواو تضاف في آخره، ثبت أنهما نقلا في الكتابة نقلاً حرفياً من الخط الآرامي، الذي تطور إلى الخط العربي.

المطلب الخامس: النتيجة.

وبعد العرض السريع لهذه النظريات، الذي تبين معه فعلاً أن القطع برأي فاصل يسلم من النقد، والتجريح في أصل الخط العربي، شيء ليس بالسهل، مما يتبين معه أنها ـ كما سبقت الإشارة في أول المبحث ـ مشكلة في التاريخ معقدة.

ولذا: ـ

١ ـ فالأولية التي أثبتها المؤرخون من العرب، لأول من وضع الخط،

---

(١) اللغة العربية عبر القرون ص ٢٢.

(٢) علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة. ص ٢٧.

هي أولية نسبية، لا أولية مطلقة، فإسماعيل، أو حمير، أو مرامر، أو. . . . أو. . . . ، كلهم يمثلون بدايات نسبية لا غير[١].

٢ ـ وأن القطع بتحديد زمني دقيق، لبداية الخط، أو القطع بتعيين شخص مجازفة، إذ ليس لنا على ذلك من دليل ثابت[٢].

٣ ـ أن النقوش والكتابات المكتشفة ـ والتي قد عثر عليها الباحثون ـ تؤكد أن العرب، كانوا يكتبون في جاهليتهم ثلاثة قرون على أقل تقدير، بهذا الخط الذي عرفه بعد ذلك المسلمون.

وقد أصبحت معرفة الجاهلية بالكتابة ـ معرفة قديمة ـ أمراً يقينياً، يقرره البحث العلمي، القائم على الدليل المادي المحسوس، وكل حديث غير هذا، لا يستند إلا إلى الحدس والافتراض.

ويقول الدكتور ناصر الدين الأسد: ولا ريب في أن ما سيعثر عليه في مقبل الأيام، من نقوش في قلب الجزيرة العربية، سيدعم رأي الذين يذهبون إلى أن عرب الجاهلية، كانوا يعرفون الكتابة منذ قرون قبل الإسلام، وسيلقى كثيراً من النور على ما لا يزال خافياً[٣].

---

(١) حياة اللغة العربية ص ٥١.

(٢) حياة اللغة العربية ص ٥١.

(٣) مصادر الشعر الجاهلي ص ٣٣.

المبحث الثاني

شيوع الكتابة قبل الإسلام، وإبّان ظهوره

في هذا المبحث: نقدم طرفاً من تاريخ الكتابة، والكتّاب، قبل الإسلام، بما يوضح لنا درجة شيوع الكتابة قبل نزول القرآن، ودرجة إجادة هذا الفن، قبل أن نتكلم عن الوحي، وكتابة القرآن الكريم.

وفي التقديم بهذا المبحث: ما يوضح لنا تمكن الصحابة من فن الكتابة تمكناً يحميهم من الخطأ في رسم كلمات القرآن الكريم، وينفي عنهم الجهل بقواعد الكتابة. وبياننا على الوجه التالي: ـ

المطلب الأول: الكتابات العامة.

كان العرب يكتبون كثيراً في شؤون حياتهم، وألواناً متعددة من الموضوعات التي يفرضها عليهم نشاطهم: العملي، أو العلمي، أو الوجداني. من ذلك: ـ

أ ـ المواثيق والعهود:

وهي التي كانوا يرتبطون بها فيما بينهم، أفراداً وجماعات؛ لكي تحميهم من الحروب التي كانت تنشأ غالباً بين هؤلاء القوم، لأتفه الأسباب، فقد «كانوا يدعون من يكتب لهم، ذكر الحلف، والهدنة، تعظيماً للأمر، وتبعيداً في النسيان»[1].

ومن أشهر هذه العهود، والمواثيق «صحيفة قريش»، التي تعاقدوا فيها

---

(١) الحيوان للجاحظ ١/ ٦٩، نسيم الرياض شرح شفاء القاضي عياض ٣/ ٢٣٦.

«على بني هاشم، وبني المطلب، وكتبوا ذلك في صحيفة، ثم تعاهدوا وتوافقوا على ذلك، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة، توكيداً على أنفسهم[1].

ب ـ الصّكوك:

وهي هذه الرقع التي كان عرب الجاهلية، يكتبون فيها حساب تجارتهم، وحقوقهم لدى غيرهم؛ ولأن كثيراً من القوم ـ آنذاك ـ كانوا تجاراً، فقد كان طبيعياً أن يكثر عندهم هذا الضرب من الكتابة، يحفظون به حقوقهم من أن تضيع.

جـ ـ مكاتبة الرقيق:

ونظامها: أن يتفق العبد وسيده على مبلغ من المال، يقوم العبد بدفعه لسيده، لكي يصبح حراً عتيقاً.

وكان هذا النوع من المكاتبة، يتم في كثير من الأحوال، تسجيله كتابة، ويكون بالنص الآتي:

«كاتب فلان مملوكه (مملوكته) الذي بيده، وملكه، المقر له: بالرق، والعبودية، المدعو فلاناً، الفلاني الجنسية، المسلم، لما علم فيه: من الخير، والديانة، والعفة، والأمانة، ولقوله تعالى: ﴿ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾ على مال، جملته كذا وكذا، يقوم به منجماً في سلخ كل شهر كذا، وكذا، وأبرأه منه... وأذن له سيده في التكسب، والبيع والشراء، فمتى أوفى ذلك كان حراً من أحرار المسلمين، له ما لهم، وعليه ما عليهم، لا سبيل لأحد عليه، إلا سبيل الولاء الشرعي، ومتى عجز ولو على الدرهم

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٣٧٥.

الفرد، كان باقياً على حكم العبودية»[1].

فإن وفّى العبد (أو الجارية) مال الكتابة.

كتب ما مثاله:

«أقر فلان بأنه: قبض، وتسلم من مملوكه فلان، المسمى باطنه، جميع المبلغ المعين... وهو كذا وكذا، على حكم التنجيم، وصار ذلك بيده، وقبضته، وصورته، فبحكم ذلك: صار فلان حراً، من أحرار المسلمين، على ما تقدم، ويؤرخ»[2].

وقد روي:

أن أبا أيوب الأنصاري: ندم على مكاتبة مولاه «أفلح»، فأرسل إليه، فقال: إني أحب أن ترد إلي الكتاب، وأن ترجع كما كنت.

فقال «لأفلح» ولده، وأهله: أترجع رقيقاً، وقد أعتقك الله...؟

فقال «أفلح»: والله لا يسألني شيئاً إلا أعطيته إياه.

ثم جاء بمكاتبته، فكسرها[3].

د ـ النقش على الخواتم:[4]

وكان هذا النوع منتشراً بينهم، يختمون به رسائلهم، وكتبهم.

وهذا يستلزم بالضرورة: أن يكون لذلك كتبة متخصصون، يجيدون النقش عليها.

هـ ـ المعلقات:

وأمرها أشهر من أن يحتاج إلى بيان.

---

(١) نهاية الأرب ٩/ ١١٣.

(٢) انظر: المبسوط: للسرخسي ٥/ ١٠٨ ـ ١٣٢.

(٣) الطبقات لابن سعد ٥/ ٦٢.

(٤) انظر: التنبيه والإشراف ص ٢٩٣، ٢٩٤.

و ـ الرسائل:

وهي هذه المكاتبات التي كانوا يسجلون فيها أخبارهم، ويحملونها عظيم أمورهم، ويضمنونها ما تتطلبه حوائجهم وشؤون حياتهم.

ومن هذه الرسائل:

١ ـ ما بعثه الرسول ﷺ إلى الملوك والرؤساء، قبل الفتح، وبعد الحديبية، وقد أسلم سائر الملوك الذين أرسل إليهم، وقومهم معهم ـ بسبب هذه الرسائل ـ عدا قيصر، والمقوقس، وهوذه، وكسرى، والحارث بن أبي شمر، والنجاشي (وهو غير الذي هاجر إليه أصحاب النبي ﷺ).

ومما يروى: أن كسرى كان أقبح القوم ردًّا، وقد مزَّق كتابَ النبي ﷺ، الذي أرسله إليه، فدعا عليه رسول الله ﷺ، فمزق الله تعالى ملكه أولاً، ثم ملكَ الفرس جملة[1].

٢ ـ ما بعثه ﷺ مع رسله الكثيرة، إلى قبائل العرب[2].

٣ ـ ويمكن أن نعد منها ـ تجاوزاً ـ كتبه عليه الصلاة والسلام، إلى أهل الإسلام في الشرائع:

فمن ذلك[3]:

أ ـ كتابه في الصدقات الذي كان عند أبي بكر.

ب ـ كتابه إلى أهل اليمن، وهو كتاب عظيم، فيه أنواع كثيرة من:

---

(١) انظر: جوامع السيرة لابن حزم ص ٢٩ ـ ٣١، زاد المعاد ١/ ٣٠.

(٢) طبقات ابن سعد ١/ ١٥، ٢/ ٣٨.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد ١/ ٣٠.

الفقه في الزكاة، والأحكام. . . إلخ.

جـ ـ وكتابه إلى بني زهير.

د ـ وكتابه الذي كان عند عمر بن الخطاب في نصب الزكاة، وغيرها.

٤ ـ ومن هذه الرسائل:

ما كان يكتبه النازحون المسافرون، إلى أهليهم، بما يعرض لهم من أمور.

فهذه أم سلمة ـ كما يذكر ابن سعد ـ أنها، لما قدمت المدينة، قبل زواجها من رسول الله ﷺ، أخبرتهم أنها بنت أبي أمية بن المغيرة، فكذبوها، وقالوا: ما أكذب الغرائب، حتى سافر ناس منهم للحج، فقالوا لها: أتكتبين إلى أهلك؟ فكتبت معهم، فرجعوا إلى المدينة بعد ذلك وقد صدقوها[١].

ومما يحلو ذكره هنا: أنهم كانوا يبدؤون كتبهم هذه بـ«باسمك اللهم»، وكان النبي ﷺ، يكتب بها كذلك حتى نزلت سورة «هود»، وفيها: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ﴾[٢]، أمر النبي ﷺ، أن يكتب في صدر كتبه «باسم الله»، وظل كذلك حتى نزلت سورة «بني إسرائيل»، وفيها: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾[٣]، فأمر عليه السلام، أن يكتب «باسم الله الرحمٰن»، وظل الأمر كذلك، حتى نزلت سورة النمل، وفيها: ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ ﴾[٤]، فأمر عليه السلام، أن يكتب ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ ﴾، وصارت سنة في صدر الكتب إلى يومنا هذا[٥].

---

(١) الطبقات ٨/ ٦٥.

(٢) سورة هود، الآية: ٤١.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ١١٠.

(٤) سورة النمل، الآية: ٣٠.

(٥) أدب الكتاب ص ٣١، الاقتضاب ص ١٠٣، التنبيه والإشراف ص ٢٥٩.

المطلب الثاني: المعلمون.

كان يوجد في الجاهلية، وإبّان ظهور الإسلام، من تعلم الكتابة، وحذقها، وأتقنها، إتقاناً جعله يصير به معلماً لغيره، ومن هؤلاء: ـ

١ ـ عمرو بن زرارة.

وكان يسمى الكاتب.

٢ ـ غيلان بن سلمة بن معتب.

وهو جاهلي أسلم يوم الطائف، والطائف هي التي أخرجت:

٣ ـ يوسف بن الحكم الثقفي.

٤ ـ الحجاج بن يوسف الثقفي.

وقد كانا معلمين ببلدهما الطائف، وشهرة الطائف ـ وقبيلة ثقيف بها خاصة ـ بالكتابة وإتقانها، منذ الجاهلية، هي التي دعت عمر بن الخطاب إلى أن يجعل كتبة المصحف خلال الجمع، من قريش وثقيف، ودعت عثمان رضي الله عنه، أيضاً، أن يقول خلال الجمع الأخير: اجعلوا الْمُمْلِي من هذيل، والكاتب من ثقيف[1].

٥ ـ عبادة بن الصامت:

روى القرطبي أنه قال: «عَلَّمْتُ ناساً مِنْ أَهْلِ الصُّفَّة القُرْآنَ والْكِتَابَةَ، فأَهْدَى إِلَيَّ رَجُلٌ مِنْهُمْ قَوْساً، فَقُلْتُ: لَيْسَ بِمَالٍ، وَأَرْمِي بِهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ[2]، فَسَأَلْتُ رسوَل الله ﷺ، فقال: إِنْ سَرَّكَ أَنْ تُطَوَّقَ بها طَوْقاً مِنْ

---

(١) تاريخ القرآن للزنجاني ص ٤٢.

(٢) تعليل لقبوله لها.

نَارٍ فاقْبَلْهَا»[1].

٦ ـ الشَّفَّاء بنت عبد الله العدوية:

وكانت في رهط عمر بن الخطاب، وقد كانت كاتبة في الجاهلية، ثم علمت حفصة بنت عمر، وزوج النبي ﷺ، الكتابة، بأمره عليه السلام، وقال لها ـ أيضاً ـ كما ورد في الإصابة والاستيعاب: «علمي حفصة: رقية النمل، كما علمتيها الكتابة[2]، ولمعرفة حفصة للكتابة ـ إلى جانب بنوتها، لعمر، وزوجيتها للرسول ﷺ ـ أودعت عندها الصحف التي جمع فيها القرآن في عهد أبي بكر، بعد وفاة الخليفة الثالث رضي الله عنه.

ولم تكن هي وحدها ـ بين زوجات النبي ﷺ ـ التي تجيد القراءة والكتابة، بل كان هناك أيضاً: أم سلمة رضي الله عنها[3].

٧ ـ أم الدرداء:

روي أنها كتبت على لوح عبارات في الحكمة، ليقلدها تلميذ كانت تعلمه الكتابة والقراءة[4].

وهذه أمثلة ـ وليست حصراً ـ للمعلمين المنفردين، وقد كان هناك للتعليم، طريقة أكثر من ذلك في نشر الكتابة، والقراءة، وهي المدارس، التي يعلمون ويتعلمون فيها جماعات.

من ذلك:

ما رواه الطبري: من أن خالد بن الوليد: حين نزل الأنبار، رآهم

---

(١) التذكار للقرطبي ص ١٠٥، وانظر مسند ابن حنبل ٥/ ٣١٥، ٣١٦.

(٢) انظر: مسند ابن حنبل ٧/ ٣٧٢، تاريخ الخط العربي ص ٦٠.

(٣) الطبقات لابن سعد ٨/ ٦٥.

(٤) انظر: تاريخ التربية الإسلامية ص ٤٩.

يكتبون العربية، ويتعلمونها[1].

ويذكر البلاذري ـ أيضاً ـ نقلاً عن الواقدي: أنه كان بعض اليهود، قد علم كتاب العربية، وكان يعلم الصبيان بالمدينة، في الزمن الأول[2].

ويذكر الدكتور أحمد شلبي ـ كذلك ـ أن أم سلمة زوج الرسول ﷺ: أرسلت مرة إلى معلم كتاب، تطلب منه أن يرسل لها بعض تلاميذ كتابه، ليساعدوها في ندف الصوف وغزله[3].

المطلب الثالث: معرفتهم للغات الأجنبية.

وذلك: أن بعضهم، كان بجانب معرفته بالكتابة العربية، يجيد بعض اللغات الأخرى.

وأمثلة ذلك:

١ ـ عدي بن زيد العبادي.

«تعلم في الكتاب، الخط العربي، ثم الخط الفارسي، فصار أفصح الناس، وأكتبهم بالعربية، والفارسية»[4].

٢ ـ ورقة بن نوفل.

كان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب بالعبرانية في الإنجيل ما شاء أن يكتب[5]، وهذا يستلزم بالضرورة إجادته للكتابة بالخط العربي.

---

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٢٠.

(٢) فتوح البلدان ـ مصر ـ ص ٤٧٩.

(٣) انظر: تاريخ التربية الإسلامية ص ٤٩ (نقلاً عن دائرة معارف الأديان والأخلاق الإنجليزية).

(٤) الأغاني ٢/ ١٠١.

(٥) الأغاني ٣/ ١٢٠.

٣ ـ زيد بن ثابت.

قال ـ رضي الله عنه ـ (قالَ رسول الله ﷺ أتُحْسِنُ السريانية؟ قلتُ: لا، قال ﷺ: فَتَعَلَّمْها، قال ـ زيد ـ فتعلمتُهَا في تسعة عشر يوماً)[١]. وهكذا كان يكتب له ﷺ، ويقرأ له كتبهم بهذه اللغة الأجنبية.

كما كان يقوم بأعمال الترجمة التحريرية، والفوريّة للنبي ﷺ في الفارسية، والرومية، والقبطية، والحبشية كذلك[٢].

وكانت هذه، مقدمات، تحتاجها عالمية الدعوة، بعد ذلك، وقد رأينا ـ فيما بعد ـ أن الرسول ﷺ، كانت له سكرتارية فيها ست لغات، إذ كانوا يعرفون العربية، والعبرية، والرومية، والفارسية، والقبطية، والحبشية[٣]. ـ كما يقول الدكتور عبد العزيز كامل ـ وبالضرورة، كانت هذه السكرتارية تكتب وتقرأ بهذه اللغات بجانب كتابتها وقراءتها للعربية.

المطلب الرابع: كتّابه عليه السلام.

كان للرسول ﷺ كتبة متخصصون في الكتابة له عليه السلام، بل كان له كذلك منهم متخصصون في أنواع معينة من الكتابات كما سنرى على الوجه التالي:

أولاً: كتابه عليه السلام، على وجه العموم.

تذكر المراجع العلمية[٤] أنه كان للرسول ﷺ من الكتاب:

---

(١) مسند ابن حنبل ٥/ ١٨٢، المصاحف ص ٣.

(٢) التنبيه والإشراف ص ٢٨٣.

(٣) الأهرام (عدد ٣١١٦٤ الصادر في ٧/ ٤/ ١٩٧٢م).

(٤) انظر: فتح الباري ٩/ ١٨، الاستيعاب (بهامش الإصابة) ١/ ٥٠، عيون الأثر ٢/ ٣١٥، ٣١٦، زاد المعاد ١/ ٢٩ جوامع السيرة ص ٢٦، التنبيه والإشراف ص ٢٨٢ ـ ٢٨٤، جمع =

(١) أبو بكر رضي الله عنه.
(٢) أبي بن كعب.
(٣) أبو أيوب الأنصاري.
(٤) أبو سلمة المخزومي.
(٥) أبو سفيان بن حرب.
(٦) أبان بن أبي سفيان.
(٧) الأرقم بن أبي الأرقم.
(٨) أبو رافع القبطي.
(٩) بريدة بن الحصيب.
(١٠) ثابت بن قيس.
(١١) جهيم بن الصلت.
(١٢) حنظلة بن الربيع.
(١٣) حويطب بن عبد العزى.
(١٤) الحصين بن نمير النميري.
(١٥) حذيفة بن اليمان.
(١٦) حاطب بن عمرو.
(١٧) خالد بن الوليد.
(١٨) خالد بن سعيد بن العاص.
(١٩) خالد بن زيد.
(٢٠) زيد بن ثابت.
(٢١) الزبير بن العوام.
(٢٢) سعيد بن العاص.
(٢٣) سعيد بن سعيد بن العاص.
(٢٤) السجل[1].
٢٥) سعيد بن أبي وقاص.
(٢٦) شرحبيل ابن حسنة.
(٢٧) طلحة بن عبيد الله.
(٢٨) عمر بن الخطاب.
(٢٩) عثمان بن عفان.
(٣٠) علي بن أبي طالب.
(٣١) عبد الله بن رواحة.
(٣٢) عبد الله بن عبيد الله بن أبيّ بن سلول.
(٣٣) عبد الله بن سعد بن أبي السرح.
(٣٤) عبد الله بن زيد.
(٣٥) عبد الله بن عبد الأسد.
(٣٦) عامر بن فهيرة.
(٣٧) عمرو بن العاص.
(٣٨) العلاء بن الحضرمي.

= القرآن ص ٢٣ ـ ٢٤.
(١) اسمه هكذا فقط في عيون الأثر ٢/٣١٦.

(٣٩) العلاء بن عقبة.
(٤٠) عبد الله بن الأرقم.
(٤١) معاوية بن أبي سفيان.
(٤٢) معيقيب بن أبي فاطمة.
(٤٣) المغيرة بن شعبة.
(٤٤) معاذ بن جبل.
(٤٥) محمد بن مسلمة.
(٤٦) يزيد بن أبي سفيان.

ثانياً: الكتاب المتخصصون:

وقد حظى هذا البحث بأن عثر على ما يفيد: تقدم فن الكتابة فيما قبل الإسلام، وإبان ظهوره؛ بأن وصل الأمر ببعض الناس من الإجادة درجة أهَّلته للتخصص والاشتهار بنوع من أنواعها.

حيث نجد من كتّاب رسول الله من تخصص منهم للكتابة بين يدي النبي ﷺ فيما يلي:

١ ـ فممن كان يكتب المعاملات، والمداينات، وسائر العقود:

أ ـ عبد الله بن الأرقم بن عبد يغوث الزهري.

ب ـ العلاء بن عقبة.

وكانا يكتبان كذلك في هذه الأمور بين الناس[١].

٢ ـ وممن كان يكتب مغانم رسول الله ﷺ[٢]:

معيقيب بن أبي فاطمة الدوسي.

٣ ـ وممن كان يكتب فيما يعرض لرسول الله ﷺ من حوائجه وأموره[٣]:

أ ـ المغيرة بن شعبة.

---

(١) التنبيه والإشراف ص ٢٨٢.
(٢) نفس المرجع ص ٢٨٢، ٢٨٣.
(٣) نفس المرجع ص ٢٨٢.

ب ـ الحصين بن نمير.

جـ ـ سعيد بن العاص.

٤ ـ وممن كان يكتب أموال الصدقات[١]:

أ ـ الزبير بن العوام.

ب ـ جهيم بن الصلت.

٥ ـ وممن كان يكتب خرص النخل[٢]:

حذيفة بن اليمان.

٦ ـ وممن كان يكتب العهود والمصالحات[٣]:

علي بن أبي طالب.

٧ ـ ومن كتاب الرسائل له عليه الصلاة والسلام[٤].

أ ـ زيد بن ثابت.

ب ـ عبد الله بن الأرقم الزهري.

جـ ـ أبي بن كعب.

٨ ـ وممن كان يقوم بدلاً عن كل واحد من هؤلاء:

حنظلة بن الربيع بن صيفي الأسيدي.

ومعنى ذلك:

أنه كان إذا غاب أحد ممَّن تقدَّم ذكرهم من الكتاب، قام حنظلة هذا بكتابة ما ينفرد به هذا الغائب.

---

(١) نفس المرجع، والكواكب الدرية ص ١٨.

(٢) نفس المرجع، والكواكب الدرية ص ١٨، سنن أبي داود ٣/ ٢٦٤.

(٣) الاستيعاب ١/ ٥١، شرح الشفاء ٣/ ٢٣٦.

(٤) الاستيعاب ١/ ٥١، التنبيه والإشراف ٢٨٣.

أي أنه كان يشغل ما يشبه وظيفة «نائب الكتاب».

ولذا كان يسمى: حنظلة الكاتب[1].

٩ ـ وممن كان يكتب إلى الملوك والرؤساء الأجانب، باللّغات الأجنبية، بجانب قيامه بأعمال الترجمة: التحريرية، والفورية، له عليه الصلاة والسلام[2]. ـ كا سبقت الإشارة إلى ذلك.

زيد بن ثابت.

١٠ ـ وممن كان يكتب الوحي.

لقد كتب الوحي لرسول الله ﷺ ـ وكانوا يحرصون على ذلك أشد الحرص ـ كل من تقدم ذكرهم، وغير من تقدم.

وتشير المراجع إلى أن:

أول من كتب له عليه السلام في ذلك بمكة من قريش[3]:

عبد الله بن سعد بن أبي سرح.

وأول من كتب له حين قدم المدينة:

زيد بن ثابت[4].

وأبي بن كعب[5].

وألزمهم له في هذا الشأن وأخصهم به[6]:

---

(١) انظر: التنبيه والإشراف ص ٢٨٣.

(٢) نفس المرجع.

(٣) الاستيعاب ١/ ٥١.

(٤) نفس المرجع ١/ ٥٠.

(٥) فتح الباري ٩/ ١٨.

(٦) زاد المعاد ١/ ٢٩.

زيد بن ثابت.

ومعاوية بن أبي سفيان.

وملاحظاتنا على هذا التعداد الذي تحاوله المراجع:

١ ـ أنه ليس تعداداً على وجه الحصر والقطع بعدد معين، كما صرح بذلك بعض الباحثين[١].

ذلك أنه لم يقم على ما نعرف من وسائل الإحصاء، وسبل الحصر العلمية، التي تكشفت عنها علوم هذا العصر.

وأيضاً: فإنه لم يُذكَر إلا «من ثبت على كتابته، واتصلت أيامُه فيها، وطالت مدته، وصحت الرواية على ذلك من أمره، دون من كتب الكتاب، والكتابين، والثلاثة، إذ كان لا يستحق بذلك أن يسمى كاتباً، ويضاف إلى جملة كتَّابه»[٢].

ولذا فهناك غير هؤلاء كثيرون.

٢ ـ أنه إذا كان هذا هو الحال في المسلمين، وهم بالنسبة إلى جميع العرب ـ وقتها ـ لا يمثلون الغالبية.

فما بالنا بأعداد الكتاب في غير هؤلاء المسلمين، لا بد وأنهم على هذا كانوا أعداداً كثيرة، وكانوا كذلك مجيدين لأنواع الكتابات المختلفة.

مما يؤكد لنا:

أن الذين كتبوا القرآن الكريم لم يكن يعتور كتابتهم الخطأ، أو يشوب

---

(١) انظر: جمع القرآن ص ٢٣.

(٢) التنبيه والإشراف ص ٢٨٣، ٢٨٤.

معرفتهم بها أي نقص، أو خلل، كما يدعي بعض الباحثين[1] كما سنرى، فيما سيأتي.

(١) انظر: الدليل الثاني من أدلة القائلين بأن رسم المصحف اصطلاحي.

المبحث الثالث

دخول الكتابة إلى مكة والمدينة

المطلب الأول: دخولها إلى مكة.

يذكر ابن أبي داود السجستاني (ت ٣١٦ هـ)، في مسألة دخول الخط إلى مكة، بيئة قريش، ثلاث روايات[1]: ـ

الأولى: أن المهاجرين منهم، تعلموه من الحيرة، وأن أهل الحيرة، أخذوه عن أهل الأنبار.

وعلى هذه الرواية: يكون الخط، قد دخل إليها، على أيدي من رجع منهم إلى مكة بعد هجرته إلى الحيرة.

الثانية: أن بشر بن عبد الملك الكندي: تعلمه من الأنبار، ثم وفد إلى مكة في بعض شأنه. فتزوج الصهباء بنت حرب بن أمية، وعلم أباها، وأخاها سفيان، صناعة الخط، ثم تعلمه معاوية من عمه سفيان، وتعلمه كذلك عمر بن الخطاب، وسائر قريش، وفي ذلك يمتن رجل كندي من أهل دومة الجندل على قريش فيقول:

لا تجحدوا نعماء بشر عليكمو ... فقد كان ميمون النقيبة أزهرا
أتاكم بخط الجزم حتى حفظتمو ... من المال ما قد كان شتى مبعثرا
فأجريتمُ الأقلام عوداً وبدأة ... وضاهيتموا كتاب كسرى وقيصرا
وأغنيتمو عن مسند الحي حمير ... وما زبرت في الصحف أقلام حميرا

---

(١) المصاحف ١/ ٤، ٥.

ونلاحظ على هذه الرواية:

أنها عندما تنسب دخول الخط إلى مكة لشخصية بشر بن عبد الملك، تكون قد حددت بداية قريبة جداً لدخول الخط العربي إلى بيئة قريش، أو إلى الجزيرة العربية، على رأي من ينيطون دخول الخط إليها ببشر.

وهذا يخالف: ما أثبته البحث من قدم معرفة العرب للكتابة، ويخالف ـ أيضاً ـ ما هو ثابت من تعلم الأعداد الكبيرة لهذا الخط، وليست هذه المدة ـ التي تحددها الرواية لدخول الخط ـ بكافية لذلك.

الثالثة: أن مرامر بن مرة، وأسلم بن سدرة، وعامر بن جدرة، هم الذين وضعوا هذا الكتاب، وهم من «بولان» قوم من «طيء»، كانوا يسكنون «بقة».

ونلاحظ ـ أيضاً ـ على هذه الرواية: أنها لم تنسب صراحة دخول الخط إلى مكة لهؤلاء الثلاثة، أو أحدهم.

وبعد: فلقد يكون من الصواب ـ كما يقول الدكتور عبد الصبور شاهين، ونحن معه ـ أن نكتفي برواية السجستاني في هذا الموضوع، ونمسك عن تحديد أولية، دقيقة، تاريخية، لدخول الخط إلى البيئة المكية.

وإن كان من المسلم: أن انتقال الخط من مركز إلى مركز، يكون بوساطة أشخاص يتعلمونه في موطنه، ثم يعلمونه لمن يريد من قومهم، ومن الممكن أن يكون ذلك قد تم خلال رحلات الشتاء والصيف التجارية المشهورة، أو يكون انتقال الخط ـ كذلك ـ بأن ينتقل أحد عارفي الخط إلى حيث يوجد من لا يعرفونه، فيتعلمون منه[1].

وفي تحديد أسماء هذه الأشخاص، أو تعيين زمن الدخول مجازفة، كما سبق أن ذكر الأستاذ حفني ناصف.

---

(١) انظر: تاريخ القرآن ص ٦٥.

وكل ما يهمنا معرفته هنا: ما أثبته البحث، من قدم الكتابة، في هذه البيئة، ومعرفة أهلها بها، واشتهارها بينهم منذ أمد بعيد.

المطلب الثاني: دخولها إلى المدينة.

أما في المدينة: فكل ما تسعفنا به المراجع، أن بعض اليهود فيها، كان قد تعلم الخط، قبل أن يدخلها الإسلام[1].

وأن الإسلام لما دخلها: كان في الأوس والخزرج عدة يكتبون[1]، والأوس، مشهورة فيها بالكتابة، ولما دخلها الرسول ﷺ، كان فيها يهودي من يهود (ماسكة)، يعلم الصبيان، القراءة والكتابة[2].

وليس في كل هذا تحديد، لبداية دخول الخط إلى المدينة، أو تعيين للشخص الذي أدخله إليها.

وكل ما في الأمر: أنه تسجيل، للحالة التي كانت عليها معرفة القراءة والكتابة بالمدينة حين دخلها النبي ﷺ.

ولذا، فالمراجع تسجل أنه كان فيها بضعة عشر من الرجال يعرفونها حين دخول النبي ﷺ إليها ـ ومنهم: ـ

١ ـ زيد بن ثابت.

٢ ـ سعيد بن زرارة.

٣ ـ المنذر بن عمرو.

٤ ـ أبي بن وهب.

٥ ـ رافع بن مالك.

---

(١) فجر الإسلام ص ١٤٠، ١٤١ نقلاً عن البلاذري.

(٢) انظر: المدخل ص ٣٣٥.

٦ ـ أسيد بن حضير.

٧ ـ معن بن عدي.

٨ ـ أوس بن خولي.

٩ ـ أبو عيسى بن كثير.

١٠ ـ بشير بن سعد.

والذي يمكننا أن نفهمه من هذا الذي تذكره المراجع: أن الكتابة، ومعرفتها ـ بالمدينة ـ قديمة، قدماً مَكَّن الأوس، أن تحذقها، فتشتهر بها، ولا يمنع هذا القدم، أن المراجع، تحصى من كان يعرف منهم الكتابة، في عدد قليل، فهذا الإحصاء ـ وهذا أمر لا بد من التنبه له ـ حصر نسبي، لم يقم على ما نعرفه الآن من الأساليب العلمية، لقواعد الإحصاء. كما سبق أن أشرنا إلى ذلك[1].

ولا يمنع هذا ـ أيضاً ـ كون المراجع لم تذكر إلا ما كان يقوم به هذه اليهودي.

وإن كنت أرى أن هذا العمل، الذي كان يقوم به هذا اليهودي دليل قوي على اشتهار الكتابة، ومعرفة فضلها، وإلا لما أرسل الآباء أبناءهم لتعلم الكتابة عند هذا اليهودي.

وختاماً:

فلعل وجود الكتابة في العرب بهذا الشكل ـ الذي تبين في هذا المبحث وما قبله ـ قبيل الإسلام، يعد إرهاصاً ـ كما يرى الدكتور أبو شهبة ـ لبعثة خاتم الرسل محمد ﷺ، ليجتمع للقرآن الكريم، الكتابة في الصحف

(١) انظر: كتّاب رسول الله ﷺ.

والتقييد في السطور، إلى الحفظ في الصدور، وبذلك يتهيأ للقرآن الكريم من دواعي الحفظ، ما لم يتهيأ لغيره، ويتحقق وعد الحق جل وعلا ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[1].

وأيضاً: بعد صلح الحديبية، فقد كانت الكتابة من أسباب تبليغ الرسالة المحمدية، إلى الملوك والأمراء، فقد كاتبهم النبي ﷺ، داعياً إلى عبادة الله وحده، والانضواء تحت لواء الإسلام، ونبذ الشرك وعبادة الأوثان[2].

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٩.

(٢) المدخل ص ٣٢٦.

المبحث الرابع

موقف الإسلام من الكتابة

منذ أن هلَّت شمس الإسلام على العرب ـ الذين شغلتهم حروبهم، وغاراتهم، وعدم حبهم لقيود الحضارة، والمدنية، ونفورهم من أسباب الترف الذي يورث الخمول، ويطفىء جذوة الشجاعة فيهم، والتي أحالت هي وغيرها عن عموم الكتابة فيهم، بما يمنع عنهم صفة «الأمية» التي لصقت بهم خلال التاريخ ـ وهو يحاول جاهداً، وبسرعة، إلى استئصال صفة الأمية هذه من قاموس صفاتهم؛ حيث إنهم قادمون على الجهاد الأكبر، الذي لا تسير هذه الصفة في قافلته، ألا وهو الجهاد الفكري، في سبيل نشر الدعوة الكبرى، التي غيرت ـ وسوف تغير ـ كل ملامح الجزيرة، ومنها هذه الصفة، التي تتنافى وعالمية الدعوة الإسلامية، إن هي ظلت بهم لاصقة، ويتبين لنا حربه لها فيما يلي: ـ

المطلب الأول: موقف القرآن الكريم:

إن من أقدم المصادر العربية المدونة عن تاريخ العرب ـ بعامة ـ وأصحها: القرآن الكريم[1]؛ ولذلك يكون من ألزم الأحاديث وأصدقها، بيان موقف القرآن من الكتابة، خاصة في هذا العهد المتقدم.

ولقد حارب القرآن ـ فيما حارب ـ أمية العرب، وعمل على محوها، وطفق يرفع من شأن الكتابة والقراءة، ويعلي من مقامهما[2]، ومن مقام من

---

(١) العرب قبل الإسلام ص ١٧.

(٢) مناهل العرفان ١/ ٣٥٦.

يجيدهما، ولذا فنجد في آياته الكريمة الكثير، والكثير من ألفاظ القراءة، والكتابة، بل ذكر أدوات الكتابة نفسها.

ومن ذلك.

١ ـ ما يخص القراءة.

أ ـ اقرأ: وهي أول لفظة نزلت ـ في أول آية نزلت ـ في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾[1]، وفي هذه الآيات، يشيد الحق تبارك وتعالى بالقلم، وهو من أدوات الكتابة.

وقد وردت لفظة «اقرأ»، وما اشتق منها سبع وثمانون مرة[2].

ب ـ مادة التلاوة: وما اشتق منها، وردت في القرآن الكريم ثنتان وستون مرة[3].

٢ ـ ما يخص الكتابة:

وردت مادة الكتابة وما اشتق منها في القرآن الكريم، ثلاثمائة وتسع عشرة مرة[4].

٣ ـ ما يخص مواد الكتابة:

أ ـ القلم: وقد نزلت سورة من القرآن، وسميت باسمه، ويقسم فيها سبحانه بالقلم فيقول تعالى: ﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ ﴾[5].

---

(١) سورة العلق، الآيات: ١ ـ ٥.

(٢) انظر: المعجم المفهرس ـ مادة قرأ ـ ص ٥٣٩.

(٣) المعجم المفهرس ص ١٥٥.

(٤) المعجم المفهرس ص ٥٩١.

(٥) سورة القلم، الآيتين: ١ ـ ٢.

ب ـ المداد: ورد في قوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ ﴾[1].

جـ ـ القرطاس: في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ ﴾[2].

د ـ الصحف: في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾[3]، وقد ذكرت هذه المادة في القرآن الكريم مرات ثمان[4].

هـ ـ الرق: في قوله تعالى: ﴿ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ ﴾[5].

و ـ السجل: في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ﴾[6].

كل هذا، وغيره، فضلاً عن دعوة القرآن للعلم، والمعرفة بعامة، ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[7].

المطلب الثاني: موقف الرسول ﷺ.

ولقد اهتم الرسول ﷺ، بهذا الأمر، البالغ الخطورة، والجليل الشأن، في نشر هذه الدعوة العالمية، التي يجب أن تتوافر لها كل وسائل التبليغ.

---

(١) سورة الكهف، الآية: ١٠٩.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ٧.
(٣) سورة الأعلى، الآيتين: ١٨ ـ ١٩.
(٤) المعجم المفهرس.
(٥) سورة الطور، الآيتين: ٢ ـ ٣.
(٦) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٤.
(٧) سورة الزمر، الآية: ٩.

والقراءة والكتابة: من أقوى الوسائل لنقل الأفكار، والمعتقدات، وتبليغها إلى من هم بعيدون عن منبعها، زماناً، ومكاناً.

ولذلك: ورد في السنن كثير من الأحاديث، التي يحث فيها الرسول ﷺ، على تعلم الكتابة وتحسينها، كما «وردت آثار بمعرفته، ﷺ، حروف الخط، وحسن تصويرها[1]، فضلاً أنه ﷺ، وضع اللبنات الأولى للتعليم الجماعي العام، بعد غزوة بدر، كما سنرى.

ويتبين لنا موقفه عليه الصلاة والسلام بهذه الثمرات اليانعة من الأحاديث التي نقتطفها من حقل سنته الطاهرة:

أولاً: من السنة القولية.

(١) دعاؤه عليه الصلاة والسلام، لمعاوية رضي الله عنه، بقوله: «اللَّهُمْ علم معاويةَ الكتابَ والحسابَ»[2]، وهذا الدعاء، إعلاءٌ منه عليه السلام، لشأن الكتابة، وتعلمها، ورفع لمنزلتها، وحثٌ على الإقبال على تعلُّمها.

(٢) قوله عليه الصلاة والسلام، لأصحابه: «قَيِّدُوا الْعِلْمَ بالكتَابِ»[3]. حتى يكون حافظاً وسجلاً لما يتلقونه من العلم، وفي هذا غاية الحث على تعلم الكتابة.

(٣) قوله عليه الصلاة والسلام، لرجل شكا إليه سوء حفظه «اسْتَعِنْ بِيَمِينِكَ وَأَوْمأَ بِيَدِهِ لِلْخَطّ»[4]، وفي هذا ـ أيضاً ـ دعوة منه عليه الصلاة

---

(١) الشفاء ١/ ٢٣٥.

(٢) رواه ابن حنبل في مسنده من حديث العرباض بن سارية.

(٣) رواه الدارمي في روايتين: عن عمر بن الخطاب، وكذلك: عن عبد الله ابنه.

(٤) رواه الترمذي عن أبي هريرة.

والسلام، إلى كل مَنْ لم تسعفه ذاكرته في اختزان ما يتلقاه، أن يتعلم الكتابة، ليحفظ بها من العلم ما يريد.

(٤) قوله للكتبة من أصحابه عليه السلام: «مَنْ كَتَبَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ مُجَوَّدَة، غَفَرَ اللَّهُ لَهُ»[١]، وهذا طلب منه عليه الصلاة والسلام إجادة الكتابة، وتحسينها وتوضيحها، لتؤدي الغرض منها، وتعين صاحبها على الاستفادة منها.

(٥) قوله عليه الصلاة والسلام، لكاتب وحيه معاوية، رضي الله عنه ـ «أَلِقِ الدَّوَاةَ، وحَرِّفِ القَلَمَ، وانْصِبِ البَاءَ، وفَرِقِ السِّينَ، ولا تُعَوِرِ الْمِيْمَ، وحَسِّنِ اللَّهَ، ومُدَّ الرَّحْمٰنَ، وجَوِدِ الرَّحِيمَ»[٢].

---

(١) أخرجه أبو نعيم في تاريخ أصبهان، وابن أشته في المصاحف، من طريق «أبان» عن «أنس» مرفوعاً، (انظر الإتقان ٢/ ١٧٠).

(٢) الشفاء ١/ ٢٣٦، وشرح هذا الحديث ـ كما هو عند شراح الشفاء: قوله: «ألق الدواة» أي اجعل نحو حرير أو صوف في المداد لأن ذلك: أولاً: يمنع من اصطدام رأس القلم بقعر الدواة، فيحفظ من الكسر والتحريف، وثانياً: أن القلم لا يرفع بسبب وجود الليقة حبراً كثيراً، وفي هذا من سهولة الكتابة، وتحسينها، ونظافتها، ما لا يخفى...

وقوله: «وحرف القلم» أي اجعل مقدمة سنه منحرفة، سواء كان كثيراً، أو قليلاً، بحسب قاعدة كل خط، لأن ذلك يساعد في تحسين الخط، ولذا قيل: إن أتقنت قلمك، اتقنت خطك، وإن أهملت قلمك، أهملت خطك.

وقوله: «وانصب الباء» أي اجعل الباء منصوبة، مرفوعة عن أسنان السين؛ لئلا تلتبس بها، فلو كانت مائلة إلى اليسار لأشبهت رأس الحاء في الخط الكوفي، إذ قاعدتها أن تكتب كشرطة مائلة إلى اليسار ـ كما هو معلوم عند الخطاطين.

وقوله: «وفرق السين»، فالمراد: إظهار أسنان السين الثلاثة، ووضوحها وضوحاً تاماً، وانفصالها عن سنة الباء، حتى لا يحصل هناك لبس، فلو نقصت من الكلمة سنة واحدة، أو لم تظهر أسنان السين الثلاثة لتغير لفظ الكلمة ومعناها.

وقوله: «ولا تعور الميم» فالمراد: عدم طمسها، ففي طمسها تشويه لنفس الحروف، كما هو ظاهر. =

(٦) قوله عليه الصلاة والسلام، لأصحابه: «قِرَاءَةُ الرَّجُلِ فِي غَيْرِ الْمُصْحَفِ أَلْفُ دَرَجَةٍ، وقِرَاءَتُهُ فِي الْمُصْحَفِ تُضَاعِفُ عَلَى ذَلِكَ بِأَلْفَيْ دَرَجَةٍ»[١]، وذلك لن يكون إلا بتعلم القراءة والكتابة، فهو حث على ذلك بطريق آكد، فيه تشويق للثواب.

(٧) أمره عليه الصلاة والسلام لأصحابه أن يكتبوا لبعض الصحابة بعض مواعظه، كما في حديث أبي شاه.

حيث إن النبي ﷺ، خطب، فذكر قصة في الحديث فقال أبو شاه: اكتبوا لي يا رسول الله، فقال عليه السلام: «اكْتُبُوا لأَبِي شَاهٍ»[٢].

(٨) قوله لمعاذ بن جبل، حين بعثه إلى اليمن: «لاَ تَقْضِيَنَّ، ولا تَفْصِلَنَّ إلاَّ بِمَا تَعْلَمْ، وإِنْ أَشْكَلَ عَلَيْكَ أَمْرٌ، فَقِفْ حَتَّى تَتَبَيَّنه، أَوْ تَكْتُبَ إِلَيَّ فِيْهِ»[٣]، وفي ذلك حثٌ لرسله[٤] ـ الذين كان يرسلهم عليه الصلاة والسلام إلى الملوك، أو عامة الناس لدعوتهم للإسلام ـ على تعلم الكتابة، حتى يكتبوا إليه عليه الصلاة والسلام، ويراسلوه، بأنبائهم، وما يعنّ لهم من الأقضية.

(٩) قوله عليه الصلاة والسلام في أوّل الأمر، لما كثر الكاتبون عنه،

= وقوله: «وحسن الله، ومدّ الرحمٰن، وجود الرحيم» فالمراد: إجادة كتابة القرآن الكريم، وتحسين الخط، والاعتناء بذلك، تعظيماً لله عز وجل ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾.

انظر: نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض ٣/ ٢٣٦ وشرح الشفا لعلي القاري بهامش الشرح المذكور.

وانظر أيضاً: تاريخ الخط العربي وآدابه ص ١١ وما بعدها.

(١) قال الحافظ الهيثمي: رواه الطبراني، وفيه أبو سعيد بن عون، وثقه ابن معبد في رواية، وضعفه في أخرى، وبقية رجاله ثقات. (انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٧/ ١٦٥).

(٢) رواه الترمذي في سننه، وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) رواه ابن ماجه في سننه.

(٤) انظر: جوامع السيرة ص ١٧ ـ ٢١.